الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

معهد اللُّغات والآداب

قسم اللُّغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللُّغة العربية وآدابها موسومة بـ:

السيرة الذاتية في القصيدة العربية القديمة

الواقع والتخييل

إعداد الطالبتان :

- بن يمينة هدى
- شيخاوي حنان

إشراف الأستاذ:

فايد محمّد

السَّنة الجامعية:

1438- 1439هـ/ 2017- 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى الذَين رافقاني وكانا لي سراجا على الطريق ونورا على الدرب وسترا في الحياة.

إلى صاحبا العطاء ورمز الكفاح، إلى الذَين استلهم منهما دروس الحياة والصبر والتضحية.

والداي الحبيبان، أطال الله في عمرهما وحفظهما الرحمان وجمعني وإيّاهم في جنّته الفردوس.

إلى الذي كان لي سندا ودعما في الحياة، بكل ظروفها زوجي العزيز *يوسف*أدامه الله بجانبي وعائلته الكريمة.

إلى الذين امتزجت دماءهم بدمي وعانقت أرواحهم روحي وتقاسموا معي لحظات الأفراح والأقراح إخوتي:عبد المالك، محمد، بلال، سيف الله، عبد العزيز، والكتكوتة أمنية.

إلى الجدّتين الحبيبتين بارك الله في عمريهما، وإلى عماتي وخالاتي وبناتهن الحبيبات، وإلى أعمامي وأخوالي وزوجاتهم.

إلى نبضات قلبي الخفاق إلى من كانوا لجراحي بلسما وترياق إلي من فاض لهم قلبي حبًا وتقديرًا صديقاتي: بشرى، سهام، أماني، هدى، سعاد، فايزة، إيمان، حنان، أشواق، أمينة، مروى....

هدى

شكر وتقدير

ولا أبث بتحياتي الشكر والعرفان إلى أهل الفضْل والجود، فلهم علينا فضلٌ توفيه حروف الأبجدية قواميس العربية.

بالكلمة الطيبة والذكر النبيل من خلال هذه الدراسة يرْفع نداء الشكر إلى كل صوت ساهم في إنارة وهلة لانطلاقة من التفكير الأولي في الموضوع، دربنا بالدعاء، والدعم أو الإمداد بالمراجع منذ أول أسرة العربية التي عُدَّة عائلتنا الثانية،إلى كل شخصٍ مدَّ لنا إلى أن أصبح نتاجاً على الورق، وعلى رأسهم بصيصاً من المعرفة على مستوى القول والفعل، فلهم جميعاً أسمى عبارات الشكر والتقدير والاحترام ، ونخص بالذّكر أستاذنا الفاضل "**فايد محمد**" الذي مهما شكرناه لن نفيه حقّه وأجره، فهو من دفعنا إلى التفكير في هذا الموضوع وساندنا لإتمامه، حيث خصّص لنا من أوقاته وجهده وكرم عطائه ، وأمدنا بمراجع شكّلت لب عملنا وأساسه، فنسأل الله تعالى أن يحفظه ويبارك في صحته وأنّ يسدد خطاه، ويمدّه بالمزيد من العلم و المعرفة، ولا يفوتنا أن نتقدّم بالشكر و العرفان لكل أستاذة المركز الجامعي، وعمال المكتبة المركزية، وجميع عمال المركز الجامعي فرداً فرداً.

مقدمة:

الحمد للّه الذي هدانا، وجعلنا لإحسانه من الشاكرين والصلاة على آخر المرسلين محمد بن عبد الله صلّى اللّه عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الميامين.

إنَّ حياة الإنسان، ما هي إلاَّ حكايةُ مسارٍ في واقعٍ تَصبو فيه الذَّات إلى تحقيق مكانةٍ مرموقةٍ في محيطها المعيش؛ إذْ هي جزء لا يتجزأ من المجتمع وما الإفصاح عن ذلك كتابةً إلاَّ محصلةٌ لما حملته السنين منْ تجاربٍ مقتَطَفةٍ من الماضي طُوِيَتْ صفحاته، وحاضر تعيش الذات لحظاته ومستقبلٍ يستشرف فيه آماله، فكانت كتابات السيرة الذاتية الفن الذِّي يلتمسه العديد من الأدباء لترجمة ذواتهم منْ أجل إثبات الوجود واستظهار نرجسيتهم والاعتراف وأبعد من ذلك الرغبةٌ في الخلودِ.

وعليه كان اِهتمام الإنسان بذاته بشكل كبير رامياً إلى حفظها، وهذا عن طريق تدوين أيامها وحوادثها واستعراض فتراتها الزمنية عن طريق كتابتها والتعريف برحلتها الوجودية بين الحياة والموت.

و قد برز عدد من الشعراء الذِّين تغنوا بذواتهم، ولاشك أنَّ القصيدة العربية القديمة متمركزة في الكثير من نماذجها على مثلِ هذا النوع من الكتابات الذاتية .

فكان هؤلاء الشعراء الذين اهتموا بذواتهم، وافتخروا بأناهم، وكانوا يحبون أنفسهم بطريقة غريبة، وقد ولَّد هذا الاهتمام عدَّة قصائدٍ، وكان ظهور الأنا واضحاً في دواوينهم، وفي بحثنا هذا حاولنا معرفة مدى بروز الأنا الشاعرة في القصيدة العربية القديمة .

وقد وسمنا بحثنا بعنوان: **السيرة الذاتية في القصيدة العربية القديمة الواقع والتخييل**، وهذا البحث ككل هو إجابة عن بعض التساؤلات لعل من أبرزها:ما مفهوم الأنا؟ وما مفهوم السيرة؟ وما هي أشكالها؟ وما مدى تجسيد الأنا في القصيدة العربية القديمة؟ وكيف شكل الشاعر سيرته وما مدى توظيفه لثنائيتي الواقع والتخييل؟

وهكذا، كان اِختيار هذا الموضوع بالذات في عنوانه الرئيس لأسباب موضوعية أكثر منها ذاتية، أما الموضوعية فكانت الرغبـــةَ في الاطّلاع على مميزات السيرة الذاتية عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى إضافة إلى الإحاطة ولو بالشيء القليل بمميزات القصيدة العربية القديمة وما مدى توظيف الشاعر لأناه فيها، وكذا حبُّ التعرف على الأنا العربية المجسدة في النماذج الشعرية والتي أسالت الكثير من الحبر فدُونت حولها عديد المؤلفات.

هي أسئلة يسعى البحث للإجابة عنها، باعتماد خطّةٍ ضمّت مدخلًا تمهيديًا وفصلين، ثمّ خاتمة تضمّنت نتائج الدراسة وآفاقها.

فالمدخل عنوَنّاه بكتابة الأنا مصطلحات ومفاهيم، حاملاً مفاهيم ودلالات عن الأنا والسيرة الذاتية.

والفصل الأول كان تحت عنوان: السيرة الذاتية في الأثر الأدبي شعراً ونثراً منطوياً تحته بعض العناصر المتمثلة في:فنُ السيرة الذاتية (النشأة والتطور)، والسيرة الذاتية وتداخلاتها المعرفية في الشعر والنثر من خلال أشكالها.

أمّا الفصل الثَّاني فكان موسومًا بتجلياتِ خطاب الأنا في نماذج شعرية عربية قديمة، خاصة الأشعار التي وردت الأنا فيها بشكلٍ مكثفٍ، وحمل هو الآخر عدة عناوين وهي كالآتي:

1_السيرة الذاتية في القصيدة الجاهلية من خلال:

ملامح سِّيَرِ الشعراء الجاهليين في وصفهم اللَّيل، والسيرة الذاتية في الفخر إضافة إلى تداخل الرحلة في سرد السير/ وكذا المقدمات الطللية والرثاء ملمحاً للسيرة الذاتية.

2-السيرة الذاتية في مضامين القصيدة العربية في صدر الإسلام:حملت كذلك في مضمونها عديد الأغراض التي ساهمت في بيان السير ومنها الفخر.

3-السيرة الذاتية في القصيدة الأموية: جاءت على شاكلة الحب في قصيدة السيرة الذاتية وملامح السير ذاتي في قصيدة الرثاء.

4- السيرة الذاتية في القصيدة العباسية :وتجلت في الفخر والرثاء .

ثم خاتمة البحث والتي كانت بمثابة الحوصلة لأهم النتائج المُتَوَصَلِ إليها من خلال الدراسة، واعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي المناسب لها، واستعنا بمجموعة من المصادر والمراجع أهمها:معجم السرديات لمحمد القاضي، وفن كتابة السيرة الذاتية لعصام العسل، وفنُ الكتابة وأشكال التعبير لحسن فالح البكور، ومقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث لجليلة طريطر، ودواوين بعض الشعراء، ومن المراجع الأجنبية المترجمة السيرة الذاتية- الميثاق والتاريخ الأدبي لفيليب لوجون. ولأنه لا يمكن لأي بحثٍ أنْ يخلو من الصعوبات والمشاكل فقد واجهتنا مجموعة من العراقيل منها:قلَّة المادة العلمية التي تناولت السيرة الذاتية في القصيدة العربية القديمة مع العلم أنها لم تُحَط بدراسة كافية حول الأنا في مضمونها.

وآخر الكلام نرجو أنْ نكون قدْ وُفِقْنَا في هذا المجهود المتواضِع الَّذي جُـمِلَ بإشراف الدكتور "فايد محمد " الذِّي تابعنا ووجهنا ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة. فإنْ أصبنا فمن اللّه، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، وباللّه نستعين. «وفوق كلّ ذي علم عليم».

الحمد لله نحمده ونستعينه على إتمام هذا العمل ونتمنى أن يكون عملنا هذا خالصًا لوجه الله الكريم ورسوله الأمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدّين.

تيسمسيلت:2018/05/15

-بن يمينة هدى -شيخاوي حنان

تمهيد :

مثّلت الأنا منذ القِدَم مركز الإبداع؛ إذ تضمنتها مختلف النصوص الأدبية وَعُنِيَتْ بها عديد الدراسات فكانت المادة الأساس لمعظم الأجناس الأدبية، وقبل التطرق إلى حضورها في هذه الفنون لابأس مِنَ الإشارة إلى ماهيتها.

ترمز الأنا في اللّغات الطبيعية إلى ضمير المتكلم والذي يُرمز له بـ :«أنا في اللّغة العربية وje في اللغة الفرنسة و***i*** في اللغة الإنجليزية»[1] وغيرها من اللغات الأخرى التي تجمع على أن هذا الضمير يمثل ذات الشخص ويتحدث عنها ويجمع التعبير بهذا الشكل في صيغتي المتكلم è–والمخاطَب فقط إذ لا يختص الغائب بهذا التميز لأن خاصية التعبير الصريح للأنا تنحصر في الضمير مثل المخاطب أو المتكلم بالتعبير الصريح بذكر الاسم ذكر/ أو أنثى.

وقَدْ لا يعبَّر عن الضمير مباشرة، لكن يفهم من سياق الكلام فتنطبع الذاتية في ذلك من خلال النظر إلى طبيعة الشخص في كتاباته التعبيرية فيذكر تارة ويختفي بالنظر إلى طبيعة القالب الذي يسقط فيه «اللفظ الذي يكسوه والطريقة التي يقدم بها وقد يصرح المتكلم بضميره فيكون ذلك من باب التأكيد على أنه المتكلم وموضوع الكلام»[2]، فيكون بهذا الشكل منجزًا ظاهرًا يتضح للقارئ من خلال الجملة وبهذا يصبح للمتكلم المقام الأوَّل في تحديد فنِ القولِ، ثم إنَّ الضمير قَدْ يدل على أمرٍ آخر يعبر به لصيغة التعظيم من خلال استعارة ضمير آخر «نحن» دلالة التفخيم والمراد به الأنا وهذا ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾[3]

إضافة إلى دلالته التفخيمية التي ترمي إلى رفع الشأن ومثاله ما ذكر في قول المتنبي:

1–الشاذلي الهيشري، الضمير ودوره في الجملة، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب، تونس، مجلد 17، 2003 م، ص 340 .

2– ينظر، المصدر نفسه، ص 234.

3–سورة القدر، الآية 01.

أَنَا الذِّي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ[1]

وعليه نجد أنَّ الأنا قد أُحتويت في الكثير من الأشكال الأدبية باعتبارها صورة لذات الشخص، فاصطلح عليها عامة (بكتابة الأنا) وهي «جنس جامع لضروب من الكتابة السردية تتخذ ذات المؤلِّف مدارا لها وتقوم على التطابق الصريح بين أعوان السرد الثلاثية:المؤلف والراوي والشخصية»[2]، فكانت بهذا الشكل مشيرة إلى فنٍ قائمٍ على هذه العناصر وهي السيرة الذاتية التي برزت فيها الذات الإنسانية، ولم تحصر كتابة الأنا في هذا الفن فقط بل هناك من الفنون الأخرى التي جسدتها كفن الاعتراف والمقالات وغيرها، فكتابة الأنا هي ربطٌ للصلة بين المبدع والمتلقي (القارئ) الذي يمثل استكمال العمل الإبداعي من خلال إخراجها من عالم الكتابة إلى عالم القراءة لأنَّ «كل سيرة ذاتية جديرة بهذا الاسم تدرج في مشروعيتها صورة الآخر وتخضع لإستراتيجية بلاغية للتواصل»[3]، وبهذا تكون السيرة الذاتية عامل تواصل يربط الأنا المبدعة بالقارئ فكلُّ شخص يبدع يهدفُ من خلال ذلك إلى إيصال فكرة ما للملتقي، فالسيرة الذاتية باعتبارها من الأجناس الأدبية التي تحضر فيها الأنا بكل نواحيها من خلال ما تجسده وترصده من آثار الحياة للأشخاص و«السيرة الذاتية نصٌ يكتبه صاحبه عن نفسه ليست مجرد تسجيلِ حوادثٍ وأخبارٍ وليست مجرد سرد الأعمال [كذا] الكاتب وآثاره ولكنها عمل فني ينتقي وينظم ويوازن [...] يترك أثره المنشود لدى المتلقي»[4] فلم تكن السيرة مقتصرة على آلية التسجيل والرصد فحسب بل تتعدى ذلك إلى جانب التأثير من خلال ما تبثه في نفس متلقيها من جمال وبصمة.

1– ديوان المتنبي، الديوان، نظمه أحمد بن الحسين أبي الطيب المتنبي، 1278، ص 247

2– محمد القاضي، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1 .

3–سليم حيولة، السيرة الذاتية؛ خصوصياتها وعلاقتها بالكتابات التخييلية، مجلة، المدونة، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، العدد الثامن، ص163،

4– المصدر نفسه . ص 163

بعد كل الآثار التي تضمنت خطاب الأنا ودخولها مجال الأدب لتجسيد كيانها لتصبح أكثر فاعلية،كانت السيرة الذاتية السبيل الذي منح الأنا فرصة ذلك وقبل المضي في كونها جنسا أدبيا لابد من استدعاء المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظة السيرة .

السيرة لغة: السيرة في اللغة هي الطريق، يقال سار بهم سيرة حسنة والسيرة هي الهيئة[1] كما ورد ذكرها في القرآن الكريم بمعنى الأحاديث الأوائل في قوله تعالى: ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾[2]

السيرة اصطلاحا: ليس من السهل الإحاطة بمفهوم شامل كامل لهذه اللفظة لكن الأرجح أنها نوع أدبي يقوم على رصد حياة شخص في مرحلة من مراحل حياته[3].

كما لها ذِكْرٌ في السنة النبوية الشريفة باعتبارها تتبع لحياة الرسول عليه الصلاة والسلام إضافة إلى التراجم التي تمثل الصلة بين المرويات الشعبية الطويلة بتجسيد من سبقونا فهي سجل للواقع العربي بصفة خاصة، والإنسان على وجه العموم منذ القدم مثل السيرة الهلالية[4]، فقد كان هذا المصطلح مادة خصبة لعديد الدارسين من خلال ما أوردوا له من تعريفات فجاءت على أنها قَصَصٌ مرتبطٌ بالتاريخ من خلال ما تَسْرِدُهُ من حوادث وفق تسلسلها التاريخي و:« يميـــل مصطلح (سيرة) إلى نوع آخر من الكتابة تضيع فيه الحدود بين الأدب القصصي والتاريخ عندما يعمد منشئُها إلى عرض حياته الخاصة أو حياة أحدِ المشاهير مبرزًا أهم محطاتها»[5]، وعليه تعمد السيرة إلى قص الوقائع بالاعتماد على الوقائع التاريخية التي تؤكد ذلك وهي التي تربط بين ذات الشخص وحياته فأصبحت

1–ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1999، ص 317

2– سورة طه الآية . 21.

3– ينظر، نبيل عبد الهادي، عبد العزيز أبو حشيش، خالد عبد الكريم، مهارات في اللغة والتفكير، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2003 م، 1424 هـ، ط2، 2005 م، 1426 هـ، ص 71 .

4– ينظر، إبراهيم السعافين وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة العربية، د س، ص 192

5– إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1429 هـ، 2008م، ص 83.

تعبِّر عنه في جميع حالاته وفي هذا الصدد قال أنيس المقدسي إنَّها «نوع من التحري التاريخي الذي يقوم بعملية رصد الأحداث الشخصية وفق دراسة فرد من جميع نواحيه»[1]، إضـــافــة إلى دراسة لوجونLejeune الذي عدّ أهم الدارسين لفن السيرة الذاتية فقد أورد لها عديد التعريفات يقول في أحدها أنَّها:«حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقـــعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية و على تاريخ شخصية بصفة خاصة »2 فالسيرة الذاتية كونها فنًا أدبيًا جعلها لوجون ترتكز على مقومات أساسية لعل أهمها المحاكاة والرّبْط بين الذات والواقع وفق خاصية السرد، ومن خلال كل هذا نخلص أن السيرة الذاتية ارتبطت بالنثر لكن ما أثر عنها الخيط الرفيع الذي جمعها بالشعر من خلال ما اصطلح عنه بقصيدة السيرة الذاتية فكان هذا منطلقًا من تعريف لوجون في قوله:«سردٌ استرجاعي لحياة منظومة شعراً يروي فيها شخص حقيقي كسرا سير به عن حياته ووجوده الخاص مركزًا حديثه على الحياة الفردية وعلى تكوين شخصيته بالخصوص»3 وكان هذا المفهوم قد أُدرج من عديد التعريفات التي أَجمعت على أنَّ السيرة الذاتية اِرتبطت بالشِّعر والنثر وكلها تصُب في إطار واحدٍ وهو أنَّها وثيقةٌ حملت كلَّ ما عاشه وعايشه الشخص في حياته .

السيرة الذاتية كغيرها من الأجناس الأدبية الأخرى لها ضوابط وأنواع ولاعتبارها الشكل البارز الذي جسد الذات، تطرقنا إلى أنواعها التي ساهمت إلى حدٍ ما في النهوض بالأدب من جهة وتِبْيَان الوجهة التي يستطيع الإنسان من خلالها رصد حيثيات حياته ومن أنواعها ما يلي:

أ. السيرة الذاتية Autobiographie: يعدُّ هذا النوع من أكثر الأنواع تجسيدًا للأنا ولعل أدق تعريفٍ لها هو ما قدمه فليب لوجون Philippe Lejeune عندما جعل أوَّل

1–آلاء قرمان، أثر السيرة الذاتية في قراءة الأعمال الروائية لفاروق الوادي، المدونة، مجلة علمية أكاديمية، دورية، محكمة، الدراسات الأدبية والنقدية، العدد الثامن،2017–1438، 2014، ص 63.

2– عصام العسل، فن الكتابة السيرة الذاتية مقاربات في المنهج، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2010م، ص89

3– تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر قسم اللغة العربية ،كلية الأدب، جامعة اليرموك، عالم الكنب الحديث، اربد، ط1 ، 2006، ص209.

أساسياته السرد الواقعي لوجود الشخص رابطًا إياها بالحياة الفردية[1]، ولم يختلف في ذلك رغم تعريفاتها العدة إذْ أنها اِرتبطت بالنثر فقيل أنَّه:«فنٌ نثري كتابي يترجم فيه الكاتب حياته الشخصية منذ الولادة إلى الزمن الحاضر للكتابة»[2]. ومن هذا المنطلق تكون السيرة الذاتية فناً يذكر فيه الشخص حياته دون التغلغل في تفاصيلها مع ذكر الأمور التي ولَّدت لديه التغيير وأكسبته الخبرة والتجارب .

ب . السيرة الغيرية: تشبه سابقتها نوعا ما إلى أنها تختلف في إطار كاتبها؛ فالسيرة الغيرية هي التي يكتبها شخص ما لآخر بالاعتماد على الشواهد والوثائق التي تؤكد ذلك وتؤرخ له وفق طابع موضوعي[3]، وكثيرا ما عرفت على أنَّها سيرة موضوعية باعتبارها سردٌ لحياة شخصٍ آخر وعلى هذا الأساس:«فإنْ كان موضوع السيرة الذاتية هو الذات فإن موضوع السيرة الموضوعية هو الأخر»[4] وهذا ما يتجلى في سرد حياة إنسان برصد ظروفها وبِتَتَبُعِ مراحلها.

تعمل السيرة الغيرية على ذكر حياة الأعلام والشخصيات البارزة التي أثرت في التاريخ مثل:«حياة الرافعي لمحمد سعيد العريان، منصور الأندلس والمعتمد بن عبَّاد لعلي أدهم وتراجم العقاد وعبقرياته وكتاب إحسان عبَّاس عن بدر شاكر السيّاب»[5]، وهي تراجم ترمي إلى عرض حياة هذه الشخصيات وذكر ما كان من تغيير بواسطتهم وما كان من منجزاتهم .

ج . السيرة التاريخية: اِرتبطت السيرة منذ نشأتها بالتاريخ باعتبارها المكون الأساسي في تسجيل الوقائع والأحداث المختلفة لحياة الشخص منذ بدايته الأولى وهذا ما قصده اِبن الجوزي في قوله:«إنَّ

4–ينظر، محمد القاضي، معجم السرديات، ص260.

1– حسن فالح البكور، إبراهيم عبد الرحمان النعانعة، فن الكتابة وأشكال التعبير، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1431،1 هـ . 2010م، ص 119.

2– ينظر، جليلة طريطر، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ج1و 2ج، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط 2004 ، ص 197.

3–محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الإيمان، الرباط، ط1، 1431 هـ، 2010م، ص34.

4– حسن فالح البكور، فن الكتابة وأشكال التعبير، ص 132.

التاريخ وذكر السير راحة للقلب وجلاء للهم وتنبيه للعقل [...] انشرحت سيرة حازمٍ علمت حسن التدبير وإنْ قُصَتْ قصة مفرِّطٍ خُوفْتَ منْ إهمال الحزم»[1]، فمثل التاريخ ولا يزال المؤثر والعامل الأوَّل في البوح من خلال إعطائها التوازن والمصداقية والحامل لحوادثٍ مرَّ عليها ردحً من الزمن، وبفضل التاريخ وما ولده من سيَّر تاريخية أحدثت هذه الأخيرة سيَّراً أخرى وهي السير التعليمية التي تدْرسُ المناقب والأعمال التي تصُب في مجال التعليم والثقافة الشخصية ثمَ ظهر نوعٌ آخر ملَونٌ بالمغامرة والقَصَصِ وشيءٌ من الخيال مع البساطة في سرد الأحداث[2].

أشكال السيرة الذاتية: بما أن السيرة الذاتية هي التي حوَت الأنا وعبَّرت عنْها بمختلف درجاتها ولتداخل أشكال مختلفة لها نفس الخصائص مع السيرة الذاتية باعتبارها تنطلق من كتابة الأنا ومن أشكالها ما يلي:

1 . المذكرات Mimoires: هي شكل من أشكال كتابة الأنا وفق وصف للأحداث وجزئياتها فقال فيها أندرية جِيد André Gide:« لا يمكن أنْ تكون المذكرات إلا نصف صادقة ولو كان هم الحقيقة كبيراً جداً فكل شيءٍ معقد دائماً أكثر مما تقوله بل وربما تقترب الحقيقة أكثر من الرواية»[3]، وعليه حدد جيد أنَّ المذكرات لا تتصف بالموضوعية ولا المصداقية التي تُعَدُ الصفة الأساسية في السيرة الذاتية .

كما عرفت على أنها قص مرجعي محاكي للواقع تعود نشأتها إلى الغرب قبل ظهورها في الآداب الأخرى وهي تشبه إلى حد بعيدٍ السيرة الذاتية من جانب الذات التي تعتبر الأساسَ فيهما وقد برز هذا اللفظ في عديد اللغات على غرار الفرنسية قبل أن تعْرف بهذا المفهوم "السيرة الذاتية" بمعيار التاريخ والسرد والواقع[4].

1–إبراهيم السعافين وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، ص192.

2– المصدر نفسه، ص 192 –193.

3–علي حميداتو، بين السيرة الذاتية والتخييل الذاتي، المدونة، مجلة علمية أكاديمية، دورية، محكمة، الدراسات الأدبية والنقدية، العدد الثامن،2017–1438، دار التلّ للطباعة 2014، ص 12.

4–ينظر، محمد القاضي، معجم السرديات، ص299 . 280

2 . اليوميات Journal intime :تُعدُ هذه أيضًا شكلًا من أشكال السيرة الذاتية، فهي تجسيدٌ للذات وفق نظام كتابة خاصة: لأنّ:« اليوميات الخاصة ضرب من ضروب كتابة الأنا يجتهد فيه مؤلف ما بأنْ يكتب يومًا بيومٍ»[1] وهي الخاصة التي تميز اليوميات عن غيرها من الكتابات، وقدْ صَعُبَ إيجاد تعريفٍ لها كونهَا لمْ تُرْصد كنوعٍ أدبِي لظهورها المتأخر خاصة لدى العرب ولهذا لا نجد لها قوانين لأنها:«جنسٌ بلا قواعد ولا حدود يكاد لا يميزه إلاَّ كونه كتابة يومية [...]قد تخللتها تقطعاتٍ»[2]، وهذا دليلٌ على أنَّ اليوميات لم تكن سابقةَ الظهور ولمْ تُقَيَدْ بضوابطَ تُسَيرها كونها رصداً للأيام التي مرت بها الذات الإنسانية.

ورغم ما وقعت فيه من تشكيكٍ إلا أنها تتصف بأسلوبٍ فريدٍ في الكتابة لا مثيل له في الكتابات الأخرى لأنها الكتاب الحافظ لذاكرة الأشخاص وبهذا صنفت على أنها:«سِجِلٌ للتجارب اليومية وحفظِ الأخبار والأحداثِ الحياتية للشخص »[3]، فاليوميات ترسم للواقع وفق ما تجود به ذاكرة المرء وما يعتريها من عوامل النسيان فكاتبها قد خطَ أول طريقه للسيرة الذاتية.

لعلَّ أول بدايات هذا الفن غربية كانت في أواخر القرن التاسع عشر مقارنة بالركود الذي عمَّ الآداب الأخرى لعديد الاعتبارات كما لم يعثر على هذا الفن في الأدب العربي إلَّا شذرات قليلة ترصدُ متناثرة في يوميات الشابي وتوفيق الحكيم[4].

والقول إنَّ اليوميات هي نفسها السيرة الذاتية أمرٌ ذهَبَ البعض إلى نفيه من خلال الفصل بينهما من خلال ما جاء به محمد الباردي في قوله:«ويتخذ التعامل مع الزمن المروي معياراً للفصل بين السيرة الذاتية واليوميات الخاصة بالماضي القريب ولئن سلك الجنسانِ اِتجاهاً واحداً ينطلق من الحاضر إلى الماضي [...] فإنَّ المساحة الزمنية التي تفصل بين زمنِ الكتابة وزمن التجربة تكون في

1– محمد القاضي، معجم السرديات، ص 482.

2–المصدر نفسه، ص83.

3–عصام العسل ،فن كتابة السيرة الذاتية ،ص70.

4–ينظر، محمد القاضي، معجم السرديات، ص484

السيرة الذاتية أوسع منها في اليوميات »[1]، وهنا يبرز الاختلاف الجذري بين كلا الكتابتين باعتبار أنَّ السيرة واسعة النطاقِ وأقدم عكس اليوميات ،إضافة إلى آنية التدوين التي تتميز بها اليوميات في حين أنَّ السيرة تتميز بالتقريب والاضطراب الذي يرجع إلى كونَها لا تكتبُ حالَ وقوعها.

إضافة إلى نوعٍ آخرٍ يشبه في خصائصه فن السيرة الذاتية وهو أدب الاعتراف لأنَّ كليهما حديث الشخصِ عن ذاته غير أنهما يختلفانِ من ناحية الاتساعِ كونُ السيرة أكثر شساعة من فنِ الاعتراف:«لعلَّ أكثر نقاط الاتفاق بين فنين هي تلك القائمة بين السيرة الذاتية وأدب الاعتراف،ففي كلٍّ من الفنين يتحدث الإنسان عن ذاته غير أنَّ السيرة الذاتية تستطيع أنَّ تبحر في مجاهل شتى بينما يظلُ أدبُ الاعتراف محصوراً في مجاله »[2]،ومن هنا يكون الاعتراف حصْراً على جانب البوحِ والإفصاح فكان بهذا مجالاً يخوضُ في النواحي الحساسة من حياة الأديب مع ذكرٍ لنواحيه الحياتية والفكرية والسياسية وغيرها، وقد اقتصر هذا النوع في وقتٍ مضى على الجانب الجنسي فقط مثل: كتابة محمد شكري.

3-التخييل الذاتي مفهومه ومرتكزاته Autofiction:وردت لفظة التخييل في مصطلحات التفكير باعتبارها أداةً لتطبيق ما يهدف إليه الإنسان في الحياة وما يولد لديه إشباعاً في مولاته وقد يربط هذا اللفظ بجانبي الشعور واللاشعور اللذين يتجسدان في اليقظة والأشكال الأخرى كالأحلام وغيرها كما نُسِبَ إليه مصطلح الفنتازيا الذي يعرف بالخيالِ[3]وفي ربطه بالجانب الذاتي أُصطلح عليه بالتخييل الذاتي الذي يرسم صورة الذات التخييلية التي تخْرِجُ الأنا من الشكل الباطني العاجز عن تأْكيد ما تصبو إليه في الواقعِ وفي هذا الصدد قال تشايكوفسكي«إنَّ العمل الذي يؤلف في أسعد الظروف قدْ يصطبغ بألوانِ قاتمة كئيبة لا تجيد تفسيرها في الحالة التي تغشى الفنانَ أثناء العمل بل في طبيعة العمل ذاته

1-عصام العسل، فن كتابة السيرة الذاتية، ص71

2-المرجع نفسه ،ص71.

3-ينظر، عيسى العوفي، القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير، ديبو للطباعة والتوزيع، عمان، ط1، 2010م، ص 77.

في موضوعه وشكله وأسلوبه بعيداً عن مزاجِ المؤلف وهو يمسك بقلمه»[1]، فكان الإبداع بذلك وسيلة للإفصاحِ عنْ كلِ ما تَخْتَلِجُ ذات المبدعِ وكلُ هذا نابعٌ من وعيٍ صادقٍ بالواقعِ.

شروطه وسماته: اِتخذ القرطاجنِّي للتخييل شروطاً حُمِلَتْ في مؤَلفه الموسوم بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء، فكانت هذه الشروط متمثلة في اقتران الشيء المتَخَيَل من خلال إبراز الصورة الجيدة له، لكن عبد القاهر الجرجاني رأى هذا عيباً فُسِرَ على أنه تزويقٌ للمعنى وخداعٌ للعقلِ2

وبحكم تميز كل فنٍ عن الآخرِ كان للتخييل سماتٌ تجعل منه متفرداً عن سواه وهذا ما عمد إليه جونات Jirar Genette فجاءت على النحو التالي:«اِستعمال الخطاب غير المباشر واِستعمال أفعال تدل على أوضاع الشخصيات في أزمنة غير محدودة أو بعيدة وعدم الإحاطة المباشرة على أساليب متباينة لا تلتقي إلاَّ في النصوص المتخيلة وخضوعِ النصِ التخييلي لمقولة الحبكة »[3]، وكلها سماتٌ وضعها جونات ليرتقي بالتخييل عن غيره.

1- حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب، وهران، د ط، 2007م، ص130-131

2- ينظر، محمد القاضي، معجم السرديات، ص74.

3-المرجع نفسه ،ص77-78.

فن السيرة الذاتية(النشأة والتطور):

إنّ المتتبع للحركة الكرونولوجية للأدب والمطّلع على أجناسه وفنونه وخاصة السيرة الذاتية، فإنّه يجدها قد مرت بمراحل تاريخية بداية من ولادتها إلى نضجها، وهذا بعد ما كانت خطابًا سرديًا في مرحلة النسيان والتهميش، ولكن سرعان ما أوجد لنفسه حضورًا قويًا وصلبًا واستطاع أن يفرض ذاته في الميدان الأدبي، وكان ذلك «حين كتب أغسطين كتابه اعترافات، وبمؤلفه هذا كان أوّل من مؤلف ينقل السيرة الذاتية من كتابة السير البطولية إلى كتابة روحية غير مرئية»[1]، فتحددت المعالم واستقل كفن له خصائص ومميزات ينفرد بها على وجه خاص.

وقد كان لهذا الفن نماذج في الآداب القديمة، فمن بين ما نجد تلك التراجم العريقة وما ألّفه «بلوتارخ **Plutarch** في نهاية القرن الأوّل الميلادي عن أباطرة الرومان والإغريق»[2]المعنون بسيَّر عظماء اليونان والرومان، وهذا لما سجلته من أوليات تلك المجتمعات و«تسجيل الأعمال والأحداث والحروب المتصلة بالملوك»[3]، فارتبطت بالتأريخ والتسجيل ورصد الوقائع. وكانت هذه المؤلفات نماذج أولية احتذى منوالها الكثير من الكتّاب، فأُعتبرت المادة الأصلية والمصدر الأساس والقاعدة الصلبة التي انبنى عليها هذا الإبداع منذ ولادته.

أمّا عند العرب، فقد كانت السيرة كنوع أدبي نادر الوجود في الآداب العربية أو يكاد ينعدم إنّ صح التعبير، «ففي العهد المملوكي وفي العهد العثماني لم يكن يحظى بعناية ذات بال[...]فقد خبا ضوء الأدب وقلّ إنتاج الأدباء بعامة وكتّاب الترجمة الذاتية على وجه الخصوص»[4]وما وُجد له

1– آلاء قرمان، أثر السيرة الذاتية في قراءة الأعمال الروائية لفاروق الوادي، المدونة، مجلة علمية أكاديمية، دورية، محكمة، الدراسات الأدبية والنقدية، العدد الثامن، ص 64.

2–دانيال ماندلسون، نهاية الرواية وبداية السيرة الذاتية، ت محمد عيسى، تقديم: صلاح عيسى، دار العربية، بيروت– لبنان، ط1 2011، ص 145–146

3–إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق، عمان– الأردن، ط1 1996، ص 11.

4–يحي إبراهيم الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، د.ط، ص 43.

مثلٌ إلّا ما جُمع من أشتاتٍ مبعثرةٍ مثل كتابات السخاوي(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) والسيوطي(حسن المحاضرة)كمؤَلّفين مهَمَشين في تلك الفترة، ثم تلتها مؤلفات «ابن طولون لابن الدّاية وسيرة صلاح الدّين لابن شداد»[1] وهذا فقط ما عُثر علية من أدب فن السيرة في تلك الفترة الزمنية.

وبعد أن كانت الغاية من السّيرة التوثيق والتأريخ، أصبحت الغاية منها حمل مكارم الأخلاق والخصال الحميدة والدّعوة إلى تقويم النفس وإصلاحها بداية مع كتابة سير الرّسول صلى الله عليه وسلم لما تضمنته من مواعظ وحكم، ولكن بالرغم من ذلك إلا أنّ جنس السّيرة الذاتية لم يكن له صدى في الحيّز الأدبي العربي فمحاولات «شوقي ضيف المبكرة في أن يجد لفن السيرة الذاتية جذورًا في أدب التراجم،ولكنّه يلاحظ متأسفًا أنّ الكتّاب القدامى قلّما وقفوا عند طفولتهم ونشأتهم والمؤثرات الخارجية في حياتهم»[2]، وبقيت على هذا الحال إلى القرن التاسع عشر، زمن الاستفاقة من غيبوبة الجمود وبدأ العرب يحتكون بالغرب، فاستطاعوا النهوض وشرعوا في مواكبة الحركة الفكرية الغربية ومحاكاتها من أجل«العثور على مقومات شخصيتهم التي تهددها الأخطار الوافدة عليهم من الغرب المتقدم»[3]والتصدي له، إضافة إلى حركة الترجمة التي قامت جراء ارتباط السيرة بالترجمة في البلدان العربية سيرًا على طريق الغرب، حيث«عكفوا على أمهات الكتب في الأدب العالمين الانجليزي، الروسي، والفرنسي»[4]فكونت هذه العمليات نهضة أدبية شاملة للأدب العربي.

1–شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، دار العلم والإيمان 2008، ط1 2009، ص 26.

2–سليمان الطعان، السيرة الذاتية ومفردات الهوية الثقافية *الحزام* نموذجًا، المدونة، مجلة علمية أكاديمية، دورية، محكمة، الدراسات الأدبية والنقدية، العدد الثامن،2017–1438،دار التلّ للطباعة 2014، ص 80.

3–يحي إبراهيم الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 46.

4–ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي، طبيعته، مقوماته، معاييره، قياسه، دار الفكر، عمان، ط4 2012، ص 75.

فحاولت مجموعة من الأدباء والمفكرين أن يعيدوا نبض الحياة لهذا الجنس أمثال«رفاعة الطهطاوي في (تلخيص الأبريز)، وعلي مبارك في (علم الدّين) وأحمد فارس الشدياق في (الساق على الساق)»[1] بعد أن تناولوا دراسات معمقة لتاريخ الترجمة الذاتية في حفريات الأدب العربي متّبعين آثار سابقيهم ومزج بحرفية ما أخذوه عن الآداب الغربية، وبهذا فإنّ الجذور الأصلية لفن السيرة كانت غربية من خلال لوجون وروسو الذي كان معهما «تاريخ السيرة الذاتية[...]الذي بدأ في أوروبا فقط في النصف الثاني من القرن الثامن عشر»[2] وهذا دليل واضح على أنّ ولادة السيرة الذاتية كانت مع روسو الذي يعتبر الأب الروحي ولوجون الذي أورد لها العديد من الخصائص التي انفردت بها من خلال دراساته.

وبعد كلّ هذه المقدّمات وجدنا لهذا الفن جذورًا حتى وإن لم تكن مقننة، فإنّها تبقى رصدا للحياة ومرآة للذّات، وهذا ما ورد في الشعر القديم من ذكر الدمن والتغزّل بالمحبوبة وأحوال حياتهم ومفارقتهم للأحبة والأهل ومثال ذلك أبي نواس الذي اعتبر نموذجًا حيًّا على أدب السيرة الذاتية في صورة واضحة.

أمّا في القرن العشرين فقد سجّل هذا الأدب نهضةً نوعيةً من خلال انتشارِ كمٍ هائلٍ من الكتابات الذاتية نتيجة انفراد الذات وبروز الرومانسية، فتميزت هذه المؤلفات بالجرأة والصرامة و«على ذلك فالكُتّاب أصبحوا قادرين عن ذي قبل على إعطاء تقرير كامل عن الشخصية الإنسانية»[3]، فكان الجانب النفسي وليد تلك القدرة الكبيرة التي أعطت الذات مساحة البوح والإفصاح عن حوادثٍ جسّدتها السيرة الذاتية، فمن بين المؤلفات العربية (الأيّام) لطه حسين الذي يعدّ«النّص التأسيسي الأوّل لجنس السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث»[4] والذي لاق حفاوة كبيرة

1–يحي إبراهيم الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 49.

2–محمد معتصم، خطاب الذات في الأدب العربي، دار الأمنية، الرباط، 2007، ط1 2007، ص 20.

3–شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 43.

4–محمد الباردي، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، مركز النشر الجامعي، تونس 2004، د.ط، ص 268.

لكونه عتبة الولوج لهذا الفن بوجهٍ خـاصٍ كما أنّه تعرض لانتقادات عديدة ف«اختلف النقاد في تحديد هويته وقد كان عبد المحسن طه بدر أوّل من أثار الإشكالية المنهجية المتعلّقة بجنس هذا الكتاب»[1] ممّا أسقطته في جنس الرواية، فكان طه حسين صاحب المؤَلف الذي فتح المجال حول إشكالية كبرى في المؤلفات الأدبية، ومن النماذج التي جاءت على إثر ذلك التمازج الأجناسي بين فنّين، «ويصل هذا التداخل بين الرواية والسيرة الذاتية إلى حدّ الالتباس، الذي كان سببًا في ظهور أجناس أدبية هجينة، كرواية السيرة الذاتية والسيرة الذاتية الروائية»[2] فلا وجود لجنس أدبي قائم بذاته، وفي هذا المقام يقول إبراهيم دبيكي«لا سبيل للحديث عن جنس سردي نقي خالص، باعتبار أنّ السيرة الذاتية قد أخذت عند نشأتها أساليب وفنّيات الكتابة التي اعتمدتها الرواية سابقًا»[3]، إذًا، لا يمكن العثور على أدبٍ خالصٍ، فكل أدب آخذ من سابق له في نشأته، فلا وجود من العدم.

وهكذا كانت السيرة الذاتية ذات الخصائص التي انبثقت عليها الرواية،وفي ذات السياق ذهب عبد القادر أفكوح طارحًا قضية التداخل بين الأجناس الأدبية وخاصة السيرة الذاتية والأجناس الأخرى في قوله «لا شك في كون مختلف الأجناس الأدبية شعرية كانت أم نثرية تلامس جنس السيرة الذاتية فهي تحمل في هويتها وملامحها من روحها وظلالها الشيء الكثير»[4]، فكانت السيرة بذلك محور الأجناس الأدبية، غير أنّها لم تكن المجال السهل لما تحتويه من خصائص الكتابة.

عمد بعض المؤلفين إلى كتابة سيَرهم الذاتية والقائمة في غمار الرواية لتأخذ مجرى إبداعي آخر وتدرج ضمن الألوان الأدبية الأخرى «فسيَر الغذّامي والدميني وفيصل أكرم وغيرهم، هي روايات بطريقة أو بأخرى وهذه الميزة بكل تأكيد ليست من إنتاج الناقد أو القارئ فحسب، وإنّما هي هدف

1–محمد الباردي، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، ص 268.

2–آلاء قرمان، أثر السيرة الذاتية في قراءة الأعمال الروائية لفاروق الوادي، ، ص 65.

3–المصدر نفسه، ص 65.

4–عصام العسل، فن كتابة السيرة الذاتية، ص 89.

المبدع نفسه عندما أنجز سيرته في سياق روائي»[1]وهذا التداخل يفتح أمام المتلقي عديد التقديرات حول أجناسية العمل الأدبي وكيفية التعامل معه.

إنّ التداخل بين الأجناس الأدبية ولّد قضية هامة في الأدب العربي أُصطلح عليها بإشكالية التجنيس والتي تدرس مدى إمكانية تشكيل خطاب أدبي محض ووجود أجناس أدبية صافية وفي هذا السياق درس جنس السيرة الذاتية بوصفها ذلك الفن الإشكالي«نظرًا لتداخله من حيث صيغته الخارجية مع أجناس، بل أنواع تعبيرية وكتابية أخرى»[2]، فكانت هذه القضية الأجناسية سبيلًا للتشكيك في مصداقية الفنون الأدبية خاصة ما تعلق بجنس السيرة. وكانت هذه القضية محل الدّراسة ونقد كبيرين أفضى إلى عديد الرؤى، منها من قالت أنّ هذا التداخل يقلل من قيمة السيرة الذاتية وينفي عنها الأصالة والمصداقية.

فقد أجمع النقّاد على أنّ المذكرات والذكريات واليوميات نوعٌ من الأنواع الأدبية وفنٌ من الفنون السير الذّاتي واعتبروها نواة السيرة ولكن لكل واحدة منها خصائص ومعايير تميّزها عن الأخرى كجنس أدبي ذا مقوّمات خاصة[3]، فالسيرة الذاتية نجد لها نوعًا من الاستقلالية عن تلك الأجناس المشابهة لها وخاصة فيما يعرف بخاصية ميثاق السيرة الذاتية*وهذه تعتبر نقطة فاصلة بينها وبين باقي الفنون بالرغم من انتمائهم إلى حقل ثقافي واحد، ويقرّ إبراهيم الدايم بقوله أنّ «الترجمة الذاتية الفنّية ليست هي تلك التي يكتبها صاحبها على شكل مذكرات يعني فيها بتصوير الأحداث التاريخية[...]وليست هي التي تُكتب على صورة ذكريات[...]وليست هي المكتوبة على شكل

1–حسين مناصرة، وهج السرد، مقاربات في الخطاب السردي السعودي عالم الكتب الحديث، إربد، ط1 2010، ص 101–102.

2–محمد معتصم، خطاب الذات في الأدب العربي، ص 13.

3–ينظر،جليلة طريطر، مقوّمات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 321–322.

***ميثاق السيرة الذاتية: هو التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية.**

يوميات[...]وليست في آخر الأمر اعترافات»[1]، فأدب السيرة الذاتية؛ أدب خاص مستقلٌّ بذاته عن غيره«لأنّها تستعيد حياة كاتبها اعتمادًا على الذّاكرة واستحضار الماضي مع ما يقترن بذلك من انتقاء وحذف وتوهم وتخييل»[2]، وسنعرض تعريفًا ليحي إبراهيم للسيرة الذاتية، يقول فيه :«الترجمة الذّاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساسٍ من الوحدة والانسجام في البناء والرّوح كما سلف وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينتقل إلينا[...]تاريخه الشخصي على نحوٍ موجز»[3]، فهي «تستوحي التجربة الحياتية والمحيط الاجتماعي لصاحب السيرة»[4]، وقد كان لذلك التمازج دورًا كبيرًا في بناء صرح أدبي بمقاييس جديدة تجمع بين التخييل والذّاتية في قالب واحد، ومن هنا جاء سيرج دبروفسكي Serge Dobrovisky ليملأ الفراغ الذّي خلّفه لوجون في تحديد ترابط السيرة بالواقع، ثمّ جاءت مشكلة امتزاج السيرة بفن الرواية فما كان على سيرج إلّا جعل التخييل الذّاتي رابط بين الجنسين، فإن «كانت الرواية عمل فنّي يستند إلى الخيال والسيرة الذّاتية تستند إلى الواقع، فإنّ التخييل الذّاتي له سمة جنسية أخرى من خلال الخانة الفارغة التي تركها لوجون»[5] فرواية السيرة الذّاتية تجمع بين خصائص جنسين في عمل تخييلي ذاتي يعمد إلى الواقع والخيال والذّات، وهذا ما يصعّب الكتابة في هذا السياق، فمن العسير دخول جنس الكتابة السيرية، فعدم تقييد كلّ جنس بمحددات، والتّداخل الأجناسي يضع المبدع أمام إشكالية أخرى تحدّ من إبداعه وتقيّده، ومن هذا المنطلق تبدو الكتابة الذّاتية أصعب الكتابات حسب رأي لوجون«هي ذلك العمل المستحيل، غير أنّ ذلك لا يمنع وجودها بتاتًا»[6] وهذا ما جاء على لسان عمر حلي إلا أنّ هذا لا ينبغي إمكانية وسهولة دخول هذا النوع من الكتابات لأنّه يعمد الجرأة والمصداقية بالدرجة الأولى.

1-يحي إبراهيم الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 3- 4.

2-محمد برادة، الذّات في السرد الروائي، دار أزمنة، عمان 2009، ط1 2010، ص 89.

3-يحي إبراهيم الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 323.

4-محمد برادة، الذات في السرد الروائي، ص 10.

5-محمد معتصم، خطاب الذّات في الأدب العربي، ص 13.

6- المصدر نفسه ، ص 15.

السيرة الذّاتية وتداخلاتها الأجناسية (شعرًا ونثرًا):

❖ السيرة الذّاتية في النثر:

لقد شغلت السيرة الذاتية في الأدب العربي حيّزًا كبيرًا وخاصة في جانب النثر، فكان لها نصيب أوفر فيه، فأدّى ذلك بها إلى بلوغ أسمى درجات القوّة والرصانة، حيث بسطت نفوذها عليه لما كانت تعتريه من حرّية في التعبير واستقلالية في تحوير الماضي بأساليب حاضرة، فكان هذا النّوع من الأجناس الأدبية النّافذة التي يخرج عبرها إلى عالم خاص يمكّنهم من البوح والاعتراف دون خوف أو تردد، لذلك نجد أنّ رفوف الأدب تحصي آثارًا كثيرًا.

وللسيرة أشكال عدّة منحت المبدع فرصة تجسيد الذّات ونرصد لها الكثير من الأجناس التي ترتبط بها في بعض المواصفات، ولكن لا يصح القول بأنّ هذه الأجناس هي نفسها السيرة الذاتية ومن بين هذه الأشكال نجد:

- **المذكـــرات:** إنّ المذكرات شكل إبداعي يسعى إلى إثبات الذّات برؤية متكاملة وفق محور التّاريخ لرصد القضايا والأحداث وهي الأدب الذي تبناه العديد ممن استهوتهم الكتابات الأدبية وفي ذلك «يمكن معاينة كتاب (من ذاكرة تلك الأيّام) جوانب من سيرة أدبية للكاتب عبد الرحمن مجيد الربيعي بوصفه كتابًا مذكراتيًا بتشكيل سير ذاتي»[1]، إضافة إلى مؤلفه (أوراق) الذي لم يفصح فيه عن انتهاء السيرة الذاتية كجنس أدبي بذاته ومستقلًا بنفسه، لكن ألفاظه أوحت بذلك والتي حملت في فحواها هذه السمة في قوله «غايتي من وراء هذه الأوراق التي أقدّمها بين دفتي هذا الكتاب هي أن أقدّم جوانب من سيرتي الأدبية»[2] وفيها رسم وجهته في الحياة وبعضا من آرائه حول من عايشهم من الأدباء، وما ميّز حياته من حوادث وآثار وكان هذا المؤلف طريقًا انتهجه الربيعي لتأكيد شخصيته وإعلاء رأيه من خلال إصدار أحكام أراء حول أدباء عصره ضنًا منه أنّهم أساءوا إلى الحركة الأدبية وعليه فإنّ مؤلف الربيعي لم يكن سيرة ذاتية وإنّما سيرة أدبية ذكر فيها «وقد أردت من وراء تدوين

1–محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذاتي، التجربة والكتابة، دار نينوى للدراسات، سورية، د.ط، 2012، ص 58.

2– المصدر نفسه، ص 59.

هذه الجوانب من سيرتي الأدبية أن أقدّم شهادة لمن جاء بعدنا من الكتّاب»[1]، فكان هذا المؤلف حاملًا لحياة الأدباء الذين لم يتقنوا الأدب حسب الربيعي ليكون مؤلفه أداة تقويم لمن يأتي بعده.

إضافة إلى مؤلف زينب البحراني المعنون (بمذكرات أدبية فاشلة)وهو سرد لحياة الأديبة التي وصفت بالفشل الذي اعترضها دون إثبات ذاتها في المجتمع والذي لطالما قيّد المبدع في أعماله،«كانت تسرد قصصًا قصيرة بقدر ما كانت تسجل مذكرات سيرة ذاتية حيّة ذات طبيعة وقائعية تعمل لحسابها»[2] وكلّ هذا نابع من الوسط المعيش الذي يحصر الإبداع ويخفي التجارب المرّة التي مرّت بها الكاتبة وكان عنوان كتابها صورة لحياتها وواقعها. وكذلك نجد مؤلف –سيرة حياتي– للكاتب توفيق فضل الله الذي لم يلق التوفيق لأنّه لم يكن ذائع الصيت آنذاك وكان مؤلفه حاملًا لنزعة نفسية تروي واقع الحياة القاسي وأبرز ما صدّ القرّاء على تذوقه عدم امتلاكه للقدرة الكافية لصياغة سيرة ذاتية بالخصائص الدقيقة لها «لابدّ أن يكون ممتلكًا لموهبة فنّية تمكّنه من صوغ عمل فنّي، يزاوج فيه بين حقائق حياته وتقنيات السرد بإمتاع القارئ»[3]، فكان عمل فضل الله خاليًا ممّا اعتبر خاصية من خصائص الفن الذّاتي، إضافة إلى انعدام ميزة الإمتاع حسب آراء النّقاد، كما برزت عديد الآثار المذكراتية على غرار مذكرات«جيمس ميلفل وجلوفر وجيمس فيرجسون ومذكرات هيوم ومذكرات هوج ومذكرات ستيوارت سكوت ومذكرات داروين»[4] وهي نماذج غربية ظهرت في العصور الوسطى كما أدرجت الذكريات إلى جانب المذكرات لاشتراكهما في بعض النقاط ومن أهم نماذج الذكريات التي تنوعت بين الميول «إلى السلم والطمأنينة[...]مثل أحمد أمين وإحسان عبّاس، ومنهم من تراه متمردًا ناقمًا على واقعه[...] مثل عبد الرحمن بدوي»[5] معتمدين في ذلك أسلوب السرد.

1– محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذاتي، التجربة والكتابة، ص 61.

2–المصدر نفسه، ص 166.

3–شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 23– 24.

4– المصدر نفسه، ص 23.

5–عصام عسل، فن كتابة السيرة الذاتية، ص 74.

➢ **اليوميـــــات Journal intime**:احتلت اليوميات مكانة كبيرة في الأعمال الأدبية، فكانت سبيلهم لتسجيل أيّامهم وحوادثهم، وتعتبر فترة العصور الوسطى مرحلة ولادة هذه النماذج الأدبية ومنها «يوميات بلوستورد ويوميات جون افيلين ويوميات صامويل بيش»[1]، وتصنف هذه الثمار الأدبية في جدول الأعمال الغربية. كما نذكر يوميات ستاندال**Stendhal** التي يسرد فيها حوادث أيّامه فيقول: «إنّي أتعهد بكتابة قصّة حياتي يومًا بيومٍ»[2]، إضافة إلى يوميات أخرى نرصد منها يوميات أميال**Amiel** وكونستات**Constant** ويوميات أندري جيد**Andrè Gide**.

كما نجد في الأعمال الأدبية العربية هذا النوع من الأجناس وتمثلت في يوميات «أبي القاسم الشّابي التي تشرق بعد وفاته وصدرت بعنوان (مذكرات الشابي)، ويوميات توفيق حكيم الموسومة (بيوميات نائب في الأرياف)[...]وإدوارد الخرّاط(في اسكندريتي) و(رقرقة) و(الأحكام الملحيّة)، وهي التي مُزجت داخل ثنايا الرّواية، وكان لأدب اليوميات حضور محدود في الأدب العربي على عكس الغرب، ويعدّ عبد الرحمن بدوي هو الآخر من مبدعي أدب اليوميات، حيث جعل منها وسيلة لتدوين وكتابة حوادث حياته قائلًا: «وأنا في سنّ الرابعة عشر بدأت أقرأ الشعر الإنكليزي في نصّه الإنكليزي وتصادف أن اشتريت من مكتبة عتيقة صغيرة في شارع محمد علي»[3] وهو بهذا يكتب يوميات مرتبة تسرد حياته وميولاته، كما عُدَّ الكاتب أحمد أمين من بين رواد هذا الأدب، فقد نلمس في كتابه الموسوم بـ(حياتي) أنّه يروي أحداثًا من أيامِ حياته في صفحاته قائلًا:«لا أذكر أنّي رفّهت عن نفسي إلّا أيامَ كنت أخرج إلى كُبري قصر النّيل»[4]، فكان مؤَلَّفه نموذجًا لأدب اليوميات الذي يسرد فيه حياته اليومية في مصر، ويوميات «هدى الشعراوي [...] برقيات تحاول تسجيلها خوف فقدان

1–شعبان عبد الحكيم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 23.

2–محمد القاضي، معجم السرديات، ص 484.

3–عصام العسل، فن كتابة السيرة الذّاتية، ص 67–68.

4–المصدر نفسه، ص 68–69.

بعض التفاصيل التي تريد الاحتفاظ بها»[1]، فما كانت اليوميات إلى سجلًا يحمل في طيّاته أحداثًا حقيقية عاشتها النّفس في مراحل حياتها من أجل تخليدها وإبقائها في ذاكرة الزّمن.

➢ **أدب الاعتـــــرافConfission** :إنْ تصفحت كتب الأدب عامة تجد أنّ أدب الاعتراف لم يلق الاهتمام الكافي، فكان المجال المهجور نوعًا ما، ومن النماذج المحدودة التي عُثر عليها مؤلف محمد مردان؛ الذي صوّر فيه مشكلته المتأرجحة بين الثقافة والذّات في حضن ثنائية الزمان والمكان بحثًا عن الوجود مبرزًا ذاته الأدبية بكثافة (أنا الذي علمت أناملي كيف تحترق)[2]، فكان في سرد بعض من الحوادث التي تركت البصمة ضمن خاصية الاعتراف، كذاك أُسقطت كتابات محمد شكري في أدب الاعتراف، فكان من الذّين «حصروها في الأمور الجنسية»[3]، بالإضافة إلى كتابات أخرى جسدت هذا الجنس مثل«رواية (زينب) لمؤلِفها محمد حسين هيكل[...]وتوفيق حكيم عصفور (من الشرق)[...] ورواية (شقّة الحرّية) لغازي القصيبي»[4]، فكانت هذه النماذج تحمل في ثناياها سيَر ممزوجة بالسرد، وقد ظلّت هذه الأخيرة«أسيرة لقيم المجتمع وأعرافه»[5]، كما حملت كتابات مؤنس الرزار الإعترافية جوانبًا كثيرة من حياته فقال، « لم يكن أبي رجلًا عاديًا، كان مفكرًا بارزًا حاز جائزة جامعة الدول العربية لأفضل عمل سياسي فكري»[6] وهو يسرد فيها مراتب حياة أبيه وهو في بلاط الدولة وهذا ما يدرج ضمن الأدب ذاته، ثمّ راح يسرد تفاصيل أخرى حساسة من حياته الشخصية خلال دخوله للمصحة النفسية جرّاء مرض الاكتئاب الذي رافقه في حياته ذاكرًا كلّ التفاصيل التي مرّ بها[7].

1– عصام العسل، فن كتابة السيرة الذّاتية ، ص 72.

2–محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذاتي، التجربة والكتابة، ص 87.

3–أحمد النعيمي، الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر، عمان–الأردن ، ط4 2008، ص 121.

4– المصدر نفسه 120.

5–المصدر نفسه، ص 120.

6–المصدر نفسه، ص 125.

7–ينظر،المصدر نفسه، ص 125–126.

كما نلمس جانبًا من هذا الفنّ في مؤلف عبد الستّار ناصر الموسوم (بحياتي) الذي يسرد فيه حوادث خفية من حياته فيقول في إحداها:«كما أفصح دون مواربة أو خوف ذلك الجانب السرّي البعيد من أخطائي وأسفاري وطفولتي وصباي وجرائمي الصغيرة منها والكبيرة والكثير من حسناتي وعيوبي»[1] وبهذا ترجم الأديب حياته في تلك السطور مبيّنًا الجوانب الملتبسة والغامضة منها، إضافة إلى مجهودات خليل النعيمي من خلال مؤلفه (مديح الهرب) الذي يحوي في صفحاته أحداث حساسة عاشها في فترة التجنيد في الجيش، فكان «النّص يتعلّق بسيرة ذاتية مسبوكة[...]مع لقاء النّساء والمغامرات الجنسية العاطفية»[2] فقد مثل مجهوده أدب الاعتراف الذي يمزج بين اللهو والجدّ.

وكانت قبل هذه الاعترافات تلك التي جاء بها القدّيس أغسطين المرتبطة بجانب الدّين ثمّ احتذى طريقه نيوتن جون وجان جاك روسو.

- **أدب الرّســـــائل**:أدرجت الرّسائل ضمن جنس السيرة الذّاتية واصطلح عليه بالسير الذاتي الرّسائلي، فأصبحت بذلك شكلًا من أشكال التعبير عن الذّات لطابعها السردي الصريح،ومن بين النماذج المصورة لهذا الأدب، رسائل إيليـــا الحاوي التي تجمع بين الحبّ والحياة فقال في بعضها:«أجدادي لم يخضعوا للإقطاع، كانوا يحترفون البناء وكان اللبناني والسوري يفخران بأنّ بينهما من صنع الثوري»[3]وهو ينطلق من سرد الحياة الاجتماعية التي ميّزت هؤلاء، فكانت رسائل ألـيا الحاوي الإحدى والثلاثون المنطوية تحت عنوان (رسائل الحبّ والحياة) لمتلقي واحد وهو ديزي الأمير فكانت هذه الرّسائل معنونة بعديد من العناصر منها:شكع، الشمس، فلسفة بريد قبل السلام والكلام[...]وهي رسائل تجمع بين الحنين والتّذكر والحزن والفقد مع حضور الحوار.

ومن الأعمال الأدبية نجد مؤلَف (أديب) لطه حسين الذي تضمن في فحواه أدب الرّسائل حيث جعله صاحبه خطابًا موازيًا للسيرة الذّاتية،ذكر فيها جملة مبادئه وأعماله ومنها «رسالته إلى

1–**محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذّاتي، ص 135.**

2–**محمد برادة، الذّات في السرد الرّوائي، ص .58**

3–**محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذّاتي، ص .16**

طليقته حميدة التي تخللها البوح والاعتراف بالجميل وتأنيب الضّمير[...] في أسلوب شيّق ولغة عربية رصينة»[1].فكانت الرسائل بمثابة السبيل الذي وقف عليه الكثير من الأدباء من أجل تجسيد أفكارهم ومشاعرهم وحتى أجزاءًا من حياتهم الواقعية وسيَرهم الذّاتية وتثبيتها في خانة الخلود.

- **روايـــــة السيرة الذّاتية** Roman autobiographique: إنّ التداخل الأجناسي بين معظم الفنون الأدبية وخاصة السيرة الذّاتية والرّواية أنتج لنا لونًا أدبيًا جديدًا، يزاوج بين خصائص الجنسين، وُصف بالهجين وهو رواية السيرة الذّاتية، هذا اللون الحديث الظهور كان قد جذب إلى نطاقه الكثير من الأدباء ومن بينهم طه حسين، الذي كان عمله الموسوم بـ(الأيّام) نموذجًا حفل بالتمازج والتداخل بين عناصر السيرة الذاتية والرّواية، وهذا ما أكّده خالد كركر في طرحه« الأيّام بأجزائه الثلاثة[...]كتاب يتراوح بين السيرة والرّواية»[2]، إذْ اعتبر أنّ المزج خاصية مهمّة تبنّاها الدكتور طه حسين في مؤلَّفه، نظرًا لما أضافه للّغة العربية واللّغات الأخرى، إضافة إلى محمود السمرة ومؤلفه المعنون بـ(سارق النار) الذي درس حياة طه حسين وأدبه والذي اتّبعه العديد من الدّارسين ف«لعلّ ميزة طه حسين في (الأيّام) أنّه يلغي الحواجز بينه وبين القارئ بحديث صادق وأسلوب جميل وبساطة في القصّ»[3]،جعلت منه أنموذجًا حاملًا لواء رواية السيرة الذّاتية. كما عُدّ مؤلف (حياتي) لعبد الستّار ناصر عملًا روائيًا سيرًا ذاتيًا لاحتوائه شيئًا من خصائص القصّة وبهذا يكون العمل شاملًا لثلاثة أجناس أدبية، وعنوان مؤلفه يحيل إلى انتمائه إلى جنس السير الذّاتي وهو ما تميّز به الأديب، فقد كان حريصًا على تقييد عناوين لافتة، وحمله جملة مسيرته الأدبية، فنجده يقول: «هذا الكتاب الذين بين يديك[...]هو مجموعة محاضراتي وكلّها تحكي عن تجربتي في كتابة القصّة القصيرة والرواية معًا»[4] فاحتوى مؤلَّفه مجموعة الحوادث التي مرّ بها خلال مشوار حياته المهنية وفي ذلك يقول:«وحده كتابي

1-**محمد معتصم، خطاب الذّات في الأدب العربي، ص 23-24-25-26.**

2-**أحمد النعيمي، الآفاق الإنسانية في الأدب العربي، ص .105**

3-**المصدر نفسه، 105-.106**

4-**محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذّاتي، ص 135**

هذا، من يكشف الجزء الخفي من حياتي وحياة عائلتي وأصدقائي وحبيباتي ومن عاش معي»[1]، ثم تناول في صفحاته الموالية حياته التي عاشها، فكان بهذا يجسد صرح كتابة السيرة الذّاتية في حضن الرّواية، وعليه فإنّ سيرة عبد الستار الأدبية تُرجمة في كتابه والتي بيّنت ما عاشه في حياته فقال: « كانت تطاردني في حياتي ثلاث صفات: الفقر والجمال والخوف، ومن طرف آخر هناك ثلاث أشياء جعلتني أتمسك بالحياة هي الكتابة والنساء والسفر[...] هذه هي الصفات التي صنعتني»[2]، فكان الأديب من خلال إبداعه يصور لنا الثنائيات المساعدة في بناء حياته من جهة والمزعزعة له من جهة أخرى، لكنّه صنع من كلّ هذا عملًا فنّيًا صوّر فيه حياته، وكذلك نجد كتاب (الأديب) لطه حسين الذي يفسِّر فيه حياته ومساره العلمي والأدبي وكلّ ما اكتنفته حياته من آثار، فقال في أحد سطوره:«لم أكن إلّا شيخًا أزهريًا قحًا، يرى أنّ منْ ذَهَبَ إلى فرنسا فهو كافر أو على الأقلّ زنديق»[3] فكان هذا الكتاب مستودع حياة كاتبه التي تخللتها عوامل عدّة من فكر ودين وتعصب وتمسك بالأصالة.

كما مثّلت سيرة فدوى طوقان (الرّحلة الأصعب) نموذجًا لفن رواية السيرة الذّاتية التي حملت في طيّاتها«الحديث عن نساء فلسطينيات ناضلن أدبيًا وميدانيًا إلى جانب الرجل وعانين من الحبس والتّعذيب والتشريد»[4]، فكانت الحياة الفلسطينية عناوين في سيرتها الذّاتية التي سردت مواقع الحرب وحالة المجتمع وما ولّدته من حالات نفسية ودور الاستعمار الإسرائيلي في ذلك، لذا نجدها تقول:« لن أنسى كم كانت لهفتنا شديدة للقاء الأحبّة بعد انقطاعنا عنهم[...]ناهيك عن إشفاقنا من الانقطاع عن بقية العالم العربي مثل ما حدث للفلسطينيين»[5] وهي صورة لا تخفى عن شعب حمل عبئ الحرب وتجرّع الغربة.

1– **محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذّاتي، ص 135.**

2–**المصدر نفسه، ص 138.**

3– **المصدر نفسه ، ص 124**

4–**المصدر نفسه، ص 86.**

5– المصدر نفسه ، ص 87.

كما كان لخليل النّعيمي رواية (مديح الهرب) حاملة لسيرته الذّاتية، التي تميّزت عن غيرها كونها «سيرة تمزج بين التخييل والكتابة المنفلتة من قيود الحبكة والتواتر الزمني»[1]، وعليه فإنّ عمله فيه تخييلًا الذّي هو خاصية الرّواية، زيادة على ذلك الكتابة على شكل السيرة ليدرج ضمن جنس رواية السيرة الذّاتية، وعليه يصنف عمل النّعيمي في الكتابات التخييلية الرّوائية التي تروي أحداث تجنيده ومرحلة دراسته.

كما تدرج الأعمال الأدبية «(أنـــا) للعبّاس محمود العقّاد و(حياتي)لأحمد أمين و(سبعون) لميخائيل نعيمة[...] هؤلاء اكتفوا بتدوين سيرهم الفكرية ومشوارهم العلمي مرورًا بالعراقيل التي واجهتهم»[2]في خانة الرواية الممزوجة بالسيرة الذّاتية.

ولم يكن هذا الأدب حكرًا على هؤلاء فقط، بل نجد أنّ بعضًا من الأدباء الجزائريين قد احتذوا منواله في كتاباتهم لسيرهم الذّاتية، أمثال واسيني لعرج في سيرة (المنتهى عشتها ...كما اشتهتني) وهي رصد لأحداث حياة الكاتب فنجده يقول:«اخترت في هذه السيرة الذين لم يعودوا بيننا، اليوم لا يعرفهم أحد أو القلّة القليلة وتسيّدوا جوهريًا حياتي»[3]فكانت هذه الصورة الفنّية مرآة عكست حياته وحياة مقرّبيه راصدًا تاريخ وطنه، فكان هذا العمل نتيجة تزاوج بين الرواية والسيرة الذاتية. كذلك نجد بعض كتّاب يلجأون إلى الرواية من أجل كتابة سيرهم الذّاتية، أو لكتابة سيرة شخص آخر هو بطل الرواية[...] ومن بين الكتّاب الذين اشتهروا بكتابة سيرتهم على هيئة الرواية، (حنّا مينة) في عديد من رواياته منها: (بقايا صور)، (المستنقع والباطر)، و(سحر خليفة) في روايته (مذكرات امرأة غير واقعية)»[4] وتليها (حكاياتي شرح يطول) لحنان الشّيخ والتي حملت تفاصيل سيرة أمّها حيث أنّ «شكل هذه السيرة سيوقفنا، لأنّ صاحبة السيرة ليست هي من أنجزت الكتابة، وإن

1–محمد برادة، الذّات في السرد الرّوائي، ص 56.

2–نسيمة لوح، رواية السيرة الذّاتية عند واسيني لعرج، سيرة المنتهى...عشتها كما اشتهتني، مجلة المدونة، ، العدد الثامن،ص149–150.

3– المرجع نفسه، ص 150.

4–ابراهيم خليل، بنية النّص الروائي، دار العربية، بيروت– لبنان، ط1 2010، ص 291.

كانت قد حكت لابنتها التفاصيل بلغة الدارجة»[1]، فكانت الكاتبة تستوحي الكلمات الأدبية من خلال ما تلقنته من سرد أمها لوقائع حياتها المختلفة، كما صوّر عبد اللطيف اللعبي حياته وطفولته في روايته (قاع الخابية) التي صنّفت على أساس رواية السيرة الذّاتية والتي تضمنت مراحل «طفولته في فاس منذ ولادته [...] إلى مجيء الاستقلال»[2]. فكانت كلّ هاته الإنتاجات عبارة عن نماذج جمعت بين جنسين مختلفين لاشتراكهما في بعض المؤشرات لينتج من رحمهما أجناسًا هجينة ذات نمط جديد في الساحة الأدبية والفنّية.

- **أدب الرحلات:** يعتبر أدب الرحلات من أبرز الفنون الأدبية مصنفاً بعد الشعر والرواية، حاملاً نماذج شتى اجتمعت فيها الخصوصية فيها الخصوصية بالمتعة فلم يكن هذا الفن منطوياً على ذاته بلْ« اِمتزج بفنِّ القصصِ والتقرير العلمي، والمذكرات، واليوميات، والسيرة الغيرية، والسيرة الذاتية، وكان بعضهم يترجم لنفسه أو لغيره [...] ومنهم من كان ينقل عن غيره مشاهداتهم ويروي قصصهم وأخبارهم»[3]، فكانت الرحلة مزيجًا من عدّة ألوان تنقل وترصد المشاهد والصور والأحداث وغيرها.

كانت الشذرات الأولى لهذا الأدب عبارة صور انطباعية وملاحظات يدونها الرحالة عن طريق«حواديت تُنقل شفاهة من لسان إلى آخر دون مسؤولية محددة عن السرد، وبمرور الوقت تحولت هذه (الحواديت) إلى نوعٍ من الأدب»[4]، وهكذا نشأن الفن من أوّلي ليصبح فنّنًا يضاهي غيره.

يعتبر فنّ الرحلة من الآداب المهمّة التي تنقل حوادث الذّات، وبهذا كثر روّادها ليصبح«هيرودوت أبًا لأدب الرّحلات، كما أنّه أبو التاريخ، فقد استقى من رحلاته الطويلة العويصة في بلاد الإغريق مسحًا وصفيًا شاملًا لها »[5]، فرحلاته تلك دُرِجَت كنموذجٍ أسبقِ يُحتذى به في مثل هذا الأدب.

1–محمد برادة، الذّات في السرد الروائي، ص 49.

2–المصدر نفسه، ص 23.

3–ابراهيم السعافين، وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، ص 223.

4–نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، مكتبة لبنان–ناشرون، لبنان د–س، د–ط، ص 23.

1– نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، ص24.

صُنِفت العرب رائداً أول لهذا الأدب لارتقائه إلى الجانب الخيالي الفني إضافة إلى بداياته المقرونة بعصر الفتح العربي الَّذي عُدَّ فتحاً مباشراً لها بجهودٍ عربية.[1]

إنَّ الرحلة أسلوب حياة فرضته الطبيعة الصحراوية التي كان العربي يعيشها آنذاك متخذاً من الشِّعر وسيلة لقص ما جال من أحداثٍ خلالها وهذا ما كان يمارسه « تجار مكة في الجاهلية يجوبون الآفاق في رحلتي الشتاء والصيف، وبعدها يجلس الرَّحالة والتجَّار في مكة ليقصوا في أنديتها على المستمعين مشاهداتهم، وما سمعوا من أخبار وقصص وحكايات ومغامرات »[2]، وهذا ما ميز تلك الحياة ناقلاً فيها العربي كلَّ ما حدث فيها.

وقدْ عُدَّت الرحلات من شعائر المسلمين حيث عُرِفَ عنهم احتفالاتهم بها إذْ تعَد من بين العقائد الحياتية لهم. وقدْ كان لها أثرٌ في القرآن الكريم إذْ حُثَ على إتباعها والسير على أثرها في قوله تعالى﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا، وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيهِ النُشُور﴾[3].

كما اعتبرت الرحلة من بين أركان القصيدة التي تستوعب الذَّات الشاعرة وتجسيدها في لوحاتها، منتقلة من استحضار الذَّاكرة إلى تطبيقٍ للواقع فهي تعبير حقيقي لما واجهه الشاعر ضمن صراع الحياة اليومية.[4]

مثل الشعراء في دواوينهم صورة الذَّات المنطوية تحت لواء الرحلة التي أسهمت في سرد سِيَّر هؤلاء، وبهذا « يظهر نوع الراحلة عنصراً مهماً في رحلات الشعراء تلك التي يهربون إليها فيعمد الشاعر إلى الهرب من ذكريات أمسه الضائع »[5]، وبهذا مثلت الرِّحلة طريقاً لولوج الشَّاعر إلى ذَّاته والهروب من واقعه وتدوينه في كتاباتهم.

2-المصدر نفسه، 31

3-إبراهيم السعافين وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، ص221

4-سورة الملك، الآية 15. 2

5-ينظر، إيمان محمد العبيدي، شعراء الطبقة الأولى الجاهلية تحت ظلال نظرية القراءة دراسة نقدية تحليلية، دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن، 2014م، ط1.

2-المصدر نفسه، ص182.

عرفَّ أدب الرحلة شيوعاً كبيراً بعد أنْ كثرت في وقتٍ مضى ومنها رحلة أبي بكر محمد بن العربي إلي الشام والعراق وكذا الحجاز ثم مصر، مدوناً ما صار أثنائها، إضافة إلى رحلة محمد العبدري، وابن عمر، وعبد الله بن رشْد الشريسي[1] .

استقى الشعراء من أجزاء الطبيعة عناصر لحمل أحداثهم وتجسيداً لترحالهم وبهذا مثلت أساسيات « شكلت في بعض الأحيان توافقاً غير معلنٍ لأداة الرحلة [ناقة، فرس] »[2]، وهذا التحديد دليل على بيان قوة الذات آنذاك ومجابهتها للنوائب.

فالرحلة مشاهد معبرة عن انفعالات الذَّات وتجاربها فهي الطريق المتّبع لسرد ما ألفه الشاعر خلالها بإسهاب أو إيجاز مقلدًا كان أو مجددًا[3].

تنوعت الرحلات بين أدبية وتجارية بحرية، ومن بين هؤلاء الرحالة الذين وضعوا بصمتهم نذكر الرحالة: ياقوت الحموي صاحب مؤلف(معجم البلدان) الذي لاق حفاوة كبيرة، أمّا الرحلات السياسية فشملت رحلة سلّام الترجمان[4]، كما كان للدّين حظٌّ من هذه الرحلات؛ إذْ أصّل لها من خلال « رحلات الحجّ [...] لكثرة الذين ارتحلوا [...] ويسجلون في رحلاتهم مشاهداتهم من الأماكن المقدّسة، وما مرّوا به من المدن والقرى والآثار [...] وما التقوا من علماء وما دونوا من عادات»[5]، وبهذا كان لفن السيرة ارتباطات بجميع ميادين حياة الإنسان وهذا ما أكدتها رحلة الشافعي التي درجت على أنّها من أقدم الرحلات التي جال أثناءها « لطلب الحديث النبوي الشريف»[6]، إضافة إلى رحلات أخرى شملت: رحلة أبي بكر، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، ورحلة أبي القاسم محمد بن حوقل، ورحلة عبد اللطيف البغدادي...، وكلها جاءت حاملةً لأحداث ومواقف مرّوا بها هؤلاء الرّحالة.

3–ينظر، إبراهيم السعافين، أساليب التعبير الأدبي، 221–222.

4–إيمان محمد العبيدي، شعراء الطبقة الأولى الجاهلية تحت ظلال نظرية التأويل، ص191.

5–ينظر، المصدر نفسه، ص 191

1–ينظر ، إبراهيم السعافين، أساليب التعبير الأدبي، ص، 222.

2–المصدر نفسه، ص 222 .

1–إبراهيم السعافين وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، ص 224.

ومما نستعرضه من هاته الرحلات، رحلة ابن بطوطة التي حملت جملت من الأحداث التي عاشها خلال عبوره لمختلف البقاع مشكلًا بذلك فننًا ضخمًا كان «ذخيرة من السفريات تشتمل على معلومات جليلة دونها بنفسه وسمّاها: تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وتعرف برحلة ابن بطوطة وهي تتصل بالبلدان والعمران والسواحل والآثار... وأخلاق الأمم وما إلى ذلك»[1]، فكان بذلك نواة في أدب الرحلات قاصاً ما سار أثنائها.

إضافة إلى رحلة ابن جبير الَّذي عُدَّ هو الآخر ضِمْنَ هذا الأدب حاملاً في مضمونه « أخبار رحلته في صورة مذكرات يومية »[2]، وبهذا تدرج رحلته ضِمن الأدب الذاتي الحامل لأيامه وأحداثه.

وهكذا كان الهدف من كتابة السيرة الذّاتية بكل أجناسها هو البوح والإفصاح والاعتراف من أجل تخفيف الثقل عن عاتق الذّات المتأزمة، فكانت تدعوا الآخر من أجل مشاركتها همّها ولتُنفّس عن مكنوناتها سواء كان ذلك الصراع خارجي(المجتمع) أو مع النّفس(الذنوب والآثام)، فكانت السبيل الذي يمنح الرّاحة والسلام والهدوء النفسي، فالتعبير في تخفٍ أمرٌ سهّل للكاتب قول الحقيقة الزئبقية في زيف وتمويه، فهو في صوب تجربةٍ إبداعيةٍ فريدةٍ والتي يكون فيها في وضعية تعرّي أمام نفسه وأمام الآخرين.

السيرة الذّاتية في الشعر:

إذا كانت السيرة الذاتية في تعاريفها العديدة تجمع على أنّها تقوم على أساس السرد وفق نمط النثر، لكن لو فحصنا الأثر الأدبي لوجدنا أنّ هذا الحكم مجحف في حقّ الشعر الذي يعتبر

2– ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، د.ط، مقدّمة الكتاب

3– إبن جبير، رحلة اِبن جبير، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012م، د.ط، ص5.

ديوان العرب والحامل لكل تفاصيل حياتهم، فالشعر يبقى وجهة الدّارسين لرصد وقائع السابقين، فالسيرة الذّاتية كان لها نصيب في حقل الشعر، حيث أنجبت من رحمها جنسا هجينًا ألا وهو الشعر السير الذّاتي[1] فكانت وسيلة ليثبت الشعر عبرها «أنّه قادر أن يلج الميادين التي كانت للنثر»[2]، وها نحن الآن بصدد التحدث عن جنس أدبي جديد حديث الولادة في التسمية قديم النشأة في الموضوع حتى وإن كان قليلا نادرا يكاد «لا يتجاوز عدد الأصابع»[3] إلا أنّنا نجد له ومضات في المدونات الشعرية القديمة، فالشاعر كان حامل رسالة قبيلته، «فالمؤرخون الشعراء لم يرضوا بالنثر كوسيلة لغرضهم من الترجمة والسير، فاستخدموا الشعر في ذلك»[4] وأصبح هذا الجنس الهجين ذو مكانة في نفوس الشعراء كخلقٍ فنيٍّ جديد عرف بقصيدة السيرة الذّاتية Autobiographue Poeme والتي هي «فضاءٌ تعبيري وتشكيلي ينهض على تجربة السيرة الذّاتية المشعرنة»[5] ومعناه أنّ النثر والشعر تداخلا لينتجا بذلك الالتحام جنسًا جديدًا فيه شراكة بين النمط والموضوع والشكل، فاتخذ من الشعر القالب ومن النثر الموضوع، فأضحى الشعر سبيلًا متأنّقًا لكتابة التاريخ باللجوء إلى تدوين بعض السير عن طريق الكلام المنظوم المقيد بالوزن والقافية[6].

ولما كانت قصيدة السيرة الذاتية تحمل تصريحًا لسيرة الشاعر وشخصيته وليس ذلك فقط، بل تتعدّاها إلى حمل تاريخًا عامًا «ولعلّ أقدم منظوم هو ما صنعه عبد الله ابن معتز في قصيدته التاريخية

1–ينظر، محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذّاتي، ص 69.

2–محمد عبد المغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، ط3، د– ت، ص 37.

3–فيليب لوجون، السيرة الذّاتية الميثاق والتأريخ الأدبي، ترجمة تقديم عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 1994، ص 16.

4–محمد عبد المغني حسن، التراجم والسير، ص 37.

5–محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذّاتي، ص 70.

6–ينظر، محمد عبد المغني حسن، التراجم والسير، ص 70.

في أشعار الخلفاء والملوك»[1] وما أنتجه أرجوزة طويلة في سيرة المعتضد العباسي في حادثة قضائه على اللصوصية فيقول:

سَارَ إِلَـــى الموصِلِ يَنْوي أَمْرًا فَمَلَأَ البَرَّ معًا والبَحْـــرَا
كَبَسَ اللُّصُوصَ والأَفْـــرادَ وَأَمِنَ البِلَادَ والعِبـــَادَ
وكَانَ في دَجْلَةِ أَلْفَ مَاخِـــرٍ لَمْ يُعِنْهَا إِلَّا جَنَاحَ طَائِـرَ
يَجُبُونَ كُلَّ مُقْبِلٍ وَمُدْبِـــــرٍ مُجَاهِرِينَ بِالفِعَالِ وَالمُنْكَـرَ
فَأَودَعُوا السِّجْـــنَ مُكتَّفِينَـــا مُغَلْغَلِينَ وَمُصْفَدِيـــــنَ

وكذلك تنوعت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تقتصر على النثر فقط وإنّما مست جانب الشعر أيضا، فنجد في ذلك ما كتبه «شمس الدّين الباعوني، سيرة شعرية عن النبي صلى الله عليه وسلم موسومة (بمنحة اللبيب في سيرة الحبيب) وابن سيّد الناس في كتابه (بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب)[2].

هذا من الأدب القديم، وما نجده في الأدب الحديث ديوان محمود درويش (لماذا تركت الحصان وحيدًا) حين صرّح فيها الشاعر بسيرته وتاريخه بكل معناها الحقيقي من روايتها بضمير المتكلم وردها إلى الزمن الماضي وغيرها من مقوّمات السيرة الذاتية، وكذلك نجد«(حياتي في الشعر) لصلاح عبد الصبور و(تجربتي الشعرية) لعبد الوهاب البيّاتي و(قصتي مع الشعر) لنزار القبّـــاني، و(الكشف عن أسرار القصيدة) للشاعر حميد سعيد»[3]، وتعتبر هذه النماذج صورًا لفن السيرة الذاتية في مجال الشعر كونها حاملة للتجربة الشعرية لهؤلاء من خلال إبراز أساليبهم الفريدة وإمكانيتهم في الكتابة، وكل هذه المؤلفات تصنف في مجال الأدب الحديث والمعاصر، والتي مثلت صلة بين ضفتي التجربة الواعية والسرد الذي كان نموذجه صلاح عبد الصبور، بالإضافة إلى الشاعر محمد علي شمس الدّين الذي

1–**محمد عبد المغني حسن، التراجم والسير، ص 37.**

2– المصدر نفسه، ص 38–39.

3–نبهان حسون السعدون، تفكيك الشفرة السردية، دراسة تحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ط1 2014، ص 19.

ألّف في هذا المجال عمله المعنون (كتاب الطوائف) وهو الذي عُدّ «كتاب سير ذاتي شعري في المقام الأوّل، يعبر فيه شمس الدّين عن رؤيته لحصار بيروت[...]إنّه كتاب في المقاومة والصمود والموت والحياة نحو توكيد السيرة الذّاتية»[1]فكان الكتاب مصورًا للواقع المأساوي الذي عاشه البلد وفق سيرة ذاتية جماعية، وتعدّ قصيدة (مردانيا) نموذجًا آخر لهذا الجنس الفريد للشاعر محمد مردان، وهي تروي «الموروث الشعبي والحكائي المؤلف لذاكرة الراوي، والزمن وهو ينشد إلى مرحلة الطفولة إنشادًا يتردد إيقاعه في كل مفاصل الاستعادة والاستنكار والرؤية والحلم»[2]، فهو رسّام حالم جعل من حياته صورة عدّد فيها المراحل الزمنية في قالب سير ذاتي شعري، ثم رصد الشاعر الزمان والمكان اللّذان ساهما في بناء سيرة إبداعه، ف«تحتشد القصيدة بكم هائل من الإحالات المكانية والشخصية والموروث شعبية[كذا] التي تتداخل على نحو ما في سيرة الشاعر الشعرية»[3]، فثنائية الزمان والمكان أساس بناء سيرة ذاتية الشاعر، كما نجد هذا الأخير في أكثر من موضع يصرّح باسمه (محمد مردان) باعتباره العنوان الأساس لبناء سيرته الذاتية في إطار الشعر وهذا ما نلمسه في قوله:

محمد

خُرَسَان كَانَت صَرَخَاتِي

مُحَمَد مَرْدَانْ

إنَّه قَارَةٌ مُكَدَّسَةٌ بِالأَبْجَدِيَاتِ

وَلَدٌ يَأْبَى أَنْ يَتَكَرَرَ

أَنَا أَمْنَحُ الحياةَ للوردةِ كَمَا تَفْعلُ البَلابِلُ العَاشِقَةُ

أَنَا الذِّي عَلَّمَتُ أَنَامِلِي كَيْفَ تَحْتَرِق[4]

1–محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذّاتي، ص 09.

2– المصدر نفسه، ص 71.

3– المصدر نفسه ، ص 72.

1– محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذّاتي، ص 76–82–86.

فالشَّاعر تحدث عن ذاته المتّسمة بالعطاء راسما تجربته الشعرية من خلال الفضاء الحالم الإبداعي، كما حفل كتاب محمود درويش (ذاكرة النسيان) بالجنس السير الذاتي الشعري من خلال ما أورده درويش كصورة القهوة التي عدّت الوظيفة التنبيهية لتمثّل صلة وثيقة بين ذات الشاعر ووطنه وأحبابه «أعرفها قهوة أمي، قهوة أمي، قهوة أصدقائي»[1]، فكانت القهوة موضوع عمل درويش وأساس سيرته فاعتبرها الأنيس في الوحدة.

ومثَله كتاب عبد الله رضوان المعنون(رقش خارج النّص) و(غواية الزنزلخت) الذي لم يصرح فيه الكاتب باسمه الحقيقي في السياق، رغم أنّه كتاب سيرة ذاتية في مجال الشعر ويتضح هذا من خلال العنوان «فتحيل عتبة العنوان على فضاء رمزي يشتغل اشتغالًا شعريًا في تأليف صورة العنوان»[2] وهو إيحاء من خلال العنوان الذي يرمز إلى أن المؤَلف يحمل دلالة الحياة من خلال الكتابة كما تضمن الكتاب ذكر أمكنة والهدف منها بيان الضياع الذي كان فيه الكاتب آنذاك «وأعرف أنني إذا أحس بضياعي الكامل وطنيًا إذْ لا أحسّ بأنّي فلسطيني ليقبلني الفلسطينيون»[3]، وهو بهذا يصرح بما كان واقعًا في حياته من غربة جعلته يحس بالضياع وسط أهله، كما لم يختلف كتابه (غراب أزرق) عن سابقه حيث وصف حالة الغربة والاغتراب والضياع الذي يعيشه في المكان الذي كان يتخبط فيها الشاعر بين إثبات الهوية الوطنية وتجسيد الكتابة الذاتية لحياته.

وهكذا نخلص إلى أنّ لهذا الجنس خصائص تميزه، وهي الاحتواء على الإحالات المكانية والشخصيات،إضافة إلى ذلك خاصية اقتباس الأحداث من الذّاكرة وترجمتها بالإيماءات والرموز والإشارات، أمّا من الناحية الزمنية فنجدها لا تلتزم بخطبة الرواية التاريخية وزمنها منذ المولد حتى النضج بعكس ما هو في النثر وهذا لأنّ قوامها لغة خاصة من حيث التركيب والدلالة والإيقاع ولأنّها أكثر تعلقًا بالذّات المبدعة ف«الذّات الشعرية الساردة بضميرها الأوّل المتمركزة حول محورها الأنوي

2–المصدر نفسه، ص 41.

3– المصدر نفسه، ص 154.

4– المصدر نفسه، ص 158.

معبرة عن حوادثها وحكاياتها»[1]، كما أننا نجد الذّات الشاعرة في القصيدة لها صورة مستنسخة له حيث تظهر ضجًّا بالعطاء والقوة والفعل والممارسة سبيلًا لتحقيق نوع من الأسطر الشخصية التي تلتحم فيها الذّات السيرية الشعرية بالذّات الكبرى الممثلة للهوية.

1- محمد صابر عبيد، التشكيل السير الذّاتي، ص 69.

تمهيـــد:

تعتبر كتابات السيَر الذّاتية من الوسائل التي التمسها الشعراء لإثبات ذواتهم، من خلال ما تحمله من حوادث متصلة بها، فجعلوا من القصيدة العربية القديمة أداةً لتخليد حياتهم من خلال تعبيرها عن الذات الشاعرة، فكان الشعر بهذا تعبيرًا عن كل:«ما يخالج النّفس والذّات من إكراهات وتطلعات ذو دلالة كبرى تتجاوز الإبداع الفني الخالص»[1]،فالشّعر منذ بداياته كان صورة واضحة للحياة وإنعكاسًا للواقع المعيش.

فأُعتبر بذلك وسيلة لرصد توجّهاته فالشّاعر يتخذ من الشعر وسيلته: «لينظم تلك الإبداعات بالذات»[2]، وعليه فقد ارتبط الشِّعر بالذَّات الشَّاعرة ارتباطًا وثيقًا حمل من خلاله صورة القبيلة تارةً وصورة الشَّاعر تارةً أخرى، لتشكل بذلك نسيجًا من السِّيرة الذّاتية،فالشِّعر هو الحامل لحياة الشُّعراء انطلاقاً من واقعهم، فالمتتبع للقصيدة العربية القديمة يجد أنها قد:«ضَمّت كثيرًا من الموضوعات التي تمثل حياة العربي وتُصور بيئته وما يدور فيها من أحداث وصراعات وحروب[...] وذلك على مستوى الفرد والقبيلة»[3]، وعليه نجد أنّ ديوان العرب كان سيرة للعربي فهو الذّي صور في مضامينه حياة الذات العربية وعليه فإن الشعر هو القالب الذي حفظت فيه بعضا من حوادث الشعراء فعدَّ بذلك أداة لحفظ تاريخ حياتهم في الشّعر رغبةً في الإبقاء على ذاكرتهم خوفًا عليها من التلاشي لأنّ هذا الشّعر كان:«فيه من المعلومات [كذا] تخص تاريخهم وما وقع فيه من

1– الوارث الحسن، دلاليات التركيب في الشعر العربي القديم – التركيب الإنشائي بين الدلالة العضوية والفنية والدلالة النفسية والذاتية، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، د ط، 2015، ص 241.

2–المرجع نفسه، ص 241.

3–أنور حميد فشوان، دراسات في عصور الأدب العربي، دار خوارزم للنشر والتوزيع، جدة، ط 1، 1427 هـ – 1428 هـ، ص 18 .

أحداث»[1]،فقد عبَّر الشِّعر آنذاك بواسطة شعرهم عن كل ما كان يشغلهم من أحداث في حياتهم وهذا جاء في بعض أشعارهم في دواوينهم.

1/السيرة الذاتية في القصيدة الجاهلية:

حملت القصيدة الجاهلية نوعاً من السير الذاتية والتي نلمح فيها الشاعر العربي يصور أياماً من حياته وفق:« ملاحظة الظواهر الطبيعية المحيطة به، وتسجيلها[...] سواء كانت ظواهر كونية أو حياتية يومية وأتاحت له ظروف حياته واتساع الصحراء من حوله أنّ يتأمل الأشياء تأملا واعيًا»[2]،فوَعيه بالأشياءِ المحيطة به دفعه إلى تجسيد ذاتيته في شعرِه، ومن هنا كان ارتباط الشَّاعر العربي الجاهلي بطبيعتهِ الصحراويةِ.

❖ ملامح سِيَر الشّعراء الجاهليين في وصفهم اللّيل:

حمل الليل في أشعار هؤلاء بعضاً من أحداثهم وبواسطته تشكلت تلك السِّير:« فقد كان للّيل في حياةِ الجاهليين دور كبير، ففيه كثُرة هموم العربيَّ حين يخلو بنفسه ليتذّكر ثأرًا له أو عليه، أو فقيدا عزيزًا على نفسهِ رحل عنه أو حبيباً دبَّت الفجوة بينه وبينه وحالة الظروف دون وصاله وإلى جانب هذه النظرة الكئيبة المليئة بالخوف[...] هناك نظرة أخرى مليئة بالأمن والسرور»[3]،فشكّل الليل بذلك ملمحًا بارزًا في سيَر هؤلاء كونه جزء من واقعهم، فكان تجسيده لأحداث حياتهم سبيلًا لرصد أحداثٍ لها صلة بذاته مبلورة في سياق مغاير ومن هنا تظهر:« النزعة الوصفية في شعرِ اللّيلِ الذّي يحتل مساحة مهمة على خريطة الشّعر الجاهلي، ويتخلل هذا الشعر كثيرا من المشاعر النّفسية

1–قيس كاظم الجنابي، أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط 1، 1428 هـ – 2007 م، ص 37.

2–رمضان عامر، الليل في الشعر الجاهلي – دراسة نصية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1429 هـ، 2008م، ص16.

3–المرجع نفسه، ص5.

والأحاسيس للشعراء تلك التي أسهمت بقدر كبير[...] في تشكيل صورهم»[1]، وبهذا شكل الليل بنية مساعدة في رصد سير الشعراء التي تراوحت بين الواقع والتخييل .

ونماذج الليل في سير الشعراء كثيرة كان فيها الشاعر محاكياً للطبيعة وعناصرها بشكلٍ متفاوت برصدٍ حقيقي وآخر تخييلي لأنّ:«الخيال يقتنص صورًا تستطيع أنْ توحي بحالتهِ النفسيةِ وبما بينها وبين الطبيعة الخارجية من انسجام أو تنافر أو اصطدام فهو لا يصف الطبيعة وصفًا مباشرًا، بل يرى فيها ذاته ويصبغ عناصرها بمكوناتِ نفسهِ التي تقف وراء كثير من صور شعره»[2]، فالشّاعر العربي قد حمل سيرته باتخاذه الطبيعة سنداً لذلك وهذا من خلال ما تتركه تلك الأخيرة من أثر لديه:«فالصورة الرمزية صورة ذاتية ترد الوجود إلى الذات وتراه فيها»[3]؛ ومن هنا تكون ذات الشاعر مطبوعة بكل تفاصيلها في تلك العناصر.

وبتتبع أشعار الجاهليين يظهر الليل بشكل بارزٍ فنلاحظ كلّ شاعرٍ يجسّد ذاته انطلاقًا ممّا يتركه من أثر لديه فيصوره على أنّه:« زمنٌ يتلون ويتشكل وفقا لذواتهم فلكل شاعر نظرته المتأثرة بظروفه الذاتية والبيئية»[4]، فقد مثّل اللّيل جانبًا من الواقع في دواوين الشّعراء أمّا تجسيده في سيرهم فكان متفاوت الحضور بين حقيقي ودونه وهذا ينطلق من الأثر الموجه على الذات، ثم إنّ حوادث اللّيل ساهمت في رسم سيَر هؤلاء بصور متقاربة نوعا ما «فقد استغل هؤلاء الشعراء الملابسات الواقعية لليل في تجسيم وتضخيم معاناتهم»[5]، ونلمس من خلاله تضخم الأنا بشكل كبير من خلال

---

1 – رمضان عامر، الليل في الشعر الجاهلي – دراسة نصية، ص5.

2 – المصدر نفسه ص 259 .

3 – المصدر نفسه، ص 259.

4 – المصدر نفسه، ص 101.

5– المصدر نفسه ، ص 156–155.

التخييل في رصد سيَرهم بتجاوز الحقائق التي تفهم من خلال فهم ألفاظها وتصنيف كل نمط على حدة بينما هو واقعي وغيره.

كما جاءت في بعضٍ من أشعار عنترة بن شداد نوع من السير الذاتي بذكرٍ لمظاهر الطبيعة كونها جزءًا من ذاته وبذلك شكّل اللّيل وجه شبه بين صورته الحقيقيّة وانعكاسه عليه فقال في سياق الموضوع:

أَنَا الحِصْنُ المشِيدُ لآلِ عَبْسٍ إِذَا مَا شَادَتِ الأَبْطالُ حِصْنـــاَ

شَبيهُ اللَّيْـــــلِ لَوْنِي، غَيرَ أَنِّي بِفِعْلِي مِنْ بَيَاضِ الصُّبْحِ أَسْنَى

جَوَادِي نِسْبَـــتي. وَأَبِي وأُمِّي حُسَامِي، والسِّنَانُ، إِذَا اِنْتَسَبْنَا[1]

فربط عنترة بين نسله والليل وهو محاولة للتَّنُصلِ من ذلك واثبات نسبه إلى أمه وأبيه وإبراز شجاعته التي أراد من خلالها مَحْو سواد لونه.

إضافة إلى نماذج أخرى رصدها عنترة في سيرته، تمزج بين سواد الليل وسواد لونه مبرزا من خلال ذلك ذاته الشجاعة فقد كان:« شعره وشِعْر غيره من الشعراء السُّود الذّين راحوا يُعلون من ذواتهم، فاتخذوا من الشِّعر الحماسي ذريعة ليعلنوا عن أنفسهم وسط محيط مجتمعهم القاسي[...] وكانت حروبهم مواجهة لمن يعملون على طمس شخصياتهم واستعبادهم»[2]. وعُدَّ عنترة مثالًا بارزًا لهذا النّوع، حيث غلبت في شخصيتهِ الشجاعة لمواجهة ما حل به من أحداث التهكم والسخرية، فاللّيل هو رمزٌ لكثيرٍ من الدلالاتِ التي استخلص الشَّاعر بواسطته أدوات تساعده في تجسيد ذَاتِيَتِهِ، فقد مُثِّلَ:«بصورةٍ واقعيةٍ في الشِّعرِ الجاهلي، نجده بصورتِّه الذاتية الشاعرة يعكس ذاتية الشاعر وتفرده، وكذلك يجيء ليعكس ردَّ فعل الشَّاعر الجاهلي تُجاه الزَّمن الواقعي»[3]، وعليه نلمح أنّ عنترة قدّ حَمِل في شعره تفاصيل الطبيعة نتيجة انعكاسها عليه في بناء سيرته الذاتية فقال في إحدى نماذجه:

1–**ديوان عنترة بن شداد، شرح وتح: عبد المنعم عبد الرؤوف، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د س، ص 128.**

2–رمضان عامر، الليل في الشعر الجاهلي– دراسة نصية، ص 98.

3– المرجع نفسه، ص 103.

فَأَنَا سَرَيْتُ مَعَ الثُّرَيَّا مُفْـــــــرَداً لَا مُؤْنِسَ لِي غَيْرَ حَـــدِّ الـمُنْصُـلِ

وَالبَدْرُ مِنْ فوقِ السَّحَابِ يَسُوقُهُ فَيَسِيرُ سَيْـــرَ الرَّاكِبِ الـمُسَتَعْجِلِ[1]

وقول امرؤ القيس في ذات الصدد:

إِنِّي حَلَفْتُ يَمِينًا غَيرَ كَـــــــاذِبَةٍ أَنَّكِ أَقلقُ إلاَّ ما خلَا القَمَرُ[2]

إضافة إلى الشاعر (تأبط شراً) الذي رسم سيرته هو الآخر انطلاقا من استخدام عناصر الطبيعة رموزًا لها وذلك تُرجمان لما تركته من أثر في ذاته وهذا ما نجده في قوله:

أَلَا مَنْ مُبلغٌ فِتْيانَ فَهْـــمٍ بِمَـــــا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَى بِطَانِ

بِأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الغُولَ تَهْوي بِسُهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ*[3]

ومّما يلاحظ عن سيَر الشُّعراء الجاهليين أنّها صورة للواقع والطبيعة وما كان من صلة بينهما وما أثارته هذه الأخيرة:«من الِانعكاسات والتي نقلها الشّاعر الجاهلي عن مجتمعه وبيئته ومحيطه ومشاعره وانفعالاته الذاتية[...]كما تتجلى من خلال المعطيات الموضوعية لمحيطه الجغرافي ولتاريخه بما ميزه من أحداث»[4]، فالإنسانُ العربيُّ الجاهليُّ طُبعَ بما في الصحراء من سمات فحملها في شعره بما فيها من حوادث لها صلة بذاته فآثار العرب وتاريخَهم كان مضمون القصيدة العربية القديمة التي أعطت الأجيال تاريخَ من سبقوهم وبذلك عُدَّ:« الشِّعر كياناً شكّل ظاهرةً ثقافيةً ولغويةً هي الوسيلة[...]التي يلتمس فيها كل ما يتعلق بحياة العربيِّ وعاداتهم وتقاليدهم»[5]، فالشِّعر باعتباره تاريخ

1–ديوان عنترة بن شداد، تح وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف، ص 13 – 14.

2–ديوان امرؤ القيس، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1969، ط3، ص 13–14.

3–ديوان تأبط شرا، تح – عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2003م، ص 75.

*– صحصحان:صفة الأرض الجرداء التي لا صخر فيها ولا شجر.

4–عمار ونيس، الواقع الشعري والموقف النقدي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2014،1، ص51.

5–المرجع نفسه، ص51.

العرب هو مصدر دقيق لكل فرد منه، وفي هذا الإطار حدد حسين مروة طرحه من منطلق أنّ ذلك الصرح هو حياة شاملة فجاء في مضمونه أنّ:"الشِّعر الجاهلي[...]يحمل في أسلوبه ومضامينه من ملامح حيَّة صافية لذلك المجتمع[...] فهو بحدّ ذاته وثيقةً تتمتع في نظر الباحث العلمي بمزايا المعلم التاريخي الأكثر غناً وتنوعًا وشمولا»[1]،وعله يظهر لنا أنّ القصيدة العربية القديمة حاضنة تاريخ العرب بكل تفاصيله وحوادثه بشكل صريح وقدّ مثّل شعر الصّعاليك نموذجًا لفن السِّيرة الذَّاتية لما حوته دواوينهم من أحاديث عن حياتهم وترحالهم إضافة إلى حوادث أخرى متصلة بهم، فمن خلال نماذجهم نرى تقديمًا لتجارب حياتيةٍ بين رابطتي الواقع في رسم أحداثهم والتخييل الذي جعلوا منه وسيلة لتصوير أحداثٍ غير واقعية في الشجاعةَ والفتك وهذا ما نلمسه في قول الشنفرة:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُـــم* فَإِنِّي إلى قومٍ سِواكُـــم لَأَمْيَلُ[2]

يتبين من خلال هذا البيت تجسد الشاعر لبعضٍ من وقائع حياته من خلال ما حملتها من أحداث الفرار من القبيلة والنفور منها وهو واقعُ جُلِّ شعراءِ تلك الطبقة الذين امتهنوا الهرب والعزلة بغية بناء حياةٍ دون قبائلهم حسب منطقهم.

❖ السيرة الذّاتية في الفخر:

أما الفخر فنلمسه في بعض القصائد الجاهلية من خلال إظهار الجانب الذاتي المصوِّر لحياتهم وما اتصل بها من أحداث من خلال طغيان الأنا المموه في ضمير الجماعة ويتجسد هذا من خلال:«فخر الشعراء بأنفسهم ووصفهم لبطولاتهم الشخصية»[3]، فسير هؤلاء الشعراء هي قوالب لتلك المغامرات والأحداث التي عاشوها.كما أدرج الشعراء في سرد سيرهم الذاتية الإحاطة بكل ما كان يواجهه العرب في واقعهم فنجدهم يتحدثون عن:«[...] مجالس الخمر اللاهية وعن المرأة

---

1 – عمار ونيس، الواقع الشعري والموقف النقدي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 51.

***مطيكم: المطي، ما يمتطى من الحيوان، والمقصود بها هنا الإبل.**

2– ديوان الشنفرة، جمعه وحققه وشرحه – إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، 1996، ط2، 58.

3–رمضان عامر، الليل في الشعر الجاهلي – دراسة نصية، ص 66.

ومغامراتهم معها»[1]، فكل هذا ميزة في حياة العربي آنذاك، فسيَرهم هي إحدى مواضيع شعرهم التي حفظها الأدب.

وعليه فقد حمل الشّاعر أحداث الحياة وتجارب الذات وأحوالها في قالبٍ شعريٍ تحت ما يسمى بالسّيرة الذاتية جامعاً في بعض مضامينها بين الواقع والتخييل الذي وضّح كلمات الذات وفسَّرها وفق ما تدل عليها، فدخول السّيرة الذاتية للقصيدة العربية هو خروجٌ عن القاعدة التي وضعها فيليب لوجون Lejeune والتي تستند إلى أنّ السِّيرة الذاتية فنٌ نثري يعرف بكثرته بخلاف الشعر الذي لم تحط به كثيراً وبعدما قُيِّدَ الشِّعر على أنَّه ديوان العرب وهو الحامل لتاريخهم والسجل الأوّل لأيامهم، وأدرج هذا في إطار القَصِّ الشِّعري، وفي هذا الصدد قال الجاحظ:«كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها[...] على الشعر وكان ذلك ديوانها»[2]، فكانت القصيدة العربية القديمة المجال الواسع الذي احتوى سِيَّر شعراءٍ في عصورها المختلفة.

وفي السياق نفسه ارتبطت سيرة عنترة بالفخر بالبطولات والنسب فكان بذلك مثالًا صريحًا لها حيث عُدَّ تاريخه الشعري صورة لذاته وانعكاسا لحياته وما مرَّ به لدليل أوفى لذلك فجاءت ذاته مرصوصة في أكثر من موضع ومنه قوله:

أَنَا الهَجِينُ عَنْتَـــــــــرَةْ كُـــــلُّ امرئٍ يَحْـــمِي حِرَهُ[3]

وَأَنَا ابْنُ سَوْدَاءِ الجَبِينِ كَأَنَّهَا ضَبعٌ تَرَعْرَعَ في رُسُومِ المَنْزِلِ[4]

نستخلص من كلا الموضعين ذِكرُ عنترة لنسبه الهجين الذي أثر عليه كثيرًا، فأراد أن يرسم من خلاله ذاته المنصهر في بَوتَقة العبودية والحالم بالتحرر، فأشعاره في مجملها طبعت بحياته، فنجدها مصوَّرة بنمطٍ واقعيٍ وهذا ما يجعل سيرته الذاتية مُتَضَمَنَةً في أحداث حقيقية:«فإنَّ الفنان يلونُ

1– رمضان عامر، الليل في الشعر الجاهلي دراسة نصية، ص 712.

2 –النبوي عبد الواحد شعلان، الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 1998م، ص 175.

3–الخطيب التبريزي، شعراؤنا– شرح ديوان عنترة، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، 2012، ص 72.

4–المصدر نفسه، ص 135.

الأشياء بدمـــه»[1]، فقد كانت سِيَّر الشُّعراء رسماً حقيقياً لواقعهم ومن هنا جاءت رغبة عنترة في الانفلات من قيد الأسر الذليل الذي غمر معظم مضامين شعره محاولًا فرض شخصيته الجديدة الموسومة بالشجاعة، وهي الذات التي صُنعت من العدم. فكلّ ما أُثر عن حياة عنترة وولادته من أم أمةٍ هو الدّافع الأساس للانسلاخ من جنس العبد الذليل والتطلع بذاته الشجاعة التي أصبح معروفا بها وفي سياق هذا يقول:

أَنَا العَبْدُ الذَّي يَلْقَى المَنَـــــــايَا غَدَاةَ الرَّوعِ لَا يَخْشَى المحَاقَا*[2]

فقد حملت أشعاره سيرته الذاتية التي ربط في فحواها بين أصله بفروسيته وشجاعته وصورة العبد الأسود الذي استطاع أن يغير مصيره، ثم نجده يُبيّن انتسابه إلى قبيلته ومعتزٍّ بها:

إِنّي امْرُؤٌ مِنْ خَيرِ عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِي، وأَحْمِي سَائِرِي بِالـمُنصَلِ[3]

ومن خلال هذا البيت يتبيّن أنّ عنترة قد اتّخذ من الفخر غرضًا رئيساً لرسم سيرته الذاتية؛ فشجاعته كانت بداية طريقه للتّخلي عن العبودية والدّفاع عن أصله الأوّل بربطه بالثّاني، وأُعتبرت بطولاته بصمةً في الكثير من آثاره وهي الدّالة على تاريخه وحياته وأحداثها المتصلة بذاته ونلمس كل هذا في قوله :

خُلِقْتُ منَ الحَديدِ أَشَدَّ قلْبـــاً وَقَدْ بَلِي الحَديدُ وَمَا بَلِيـــــتُ

وَإِنّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الأَعَـــــادِي بِأقحافِ الرُّؤُسِ وَمَـــــا رَوِيْتُ

وَفِي الحَرْبِ العَوَانِ، وُلِدتُ طِفْلًا وَمِنْ لَبَنِ المِعَـــــامِعِ قَدْ سُقِيتُ[4]

1–الوارث الحسن، دلاليات التركيب في الشعر العربي القديم – التركيب الإنشائي بين الدلالة العضوية والفنية والدلالة النفسية والذاتية، ص 25.

2– الخطيب التبريزي، شعراؤنا– شرح ديوان عنترة، ص 104.

3– المصدر نفسه، ص 126.

4– المصدر نفسه، ص 28.

وفي هذا الموقف تتبين سيرة عنترة جليًا من خلال رصده لأحداث طفولته ونشأته في كنف الإبل، وبين غمار الحروب يَكْبُر ومن الشجاعة وقسوة الصّحراء يصنع من ذات عنترة العبد رجلًا شجاعًا يتغنى به كل عربي، كما نجد في سيرته شيء من التخييل فعنترة بالغ في رسم حياته بتحميل أحداث واقعية تجاوز فيها الواقع في قوله: (في الحرب ولدت طفلا) و(شربت دم الأعادي) وكل هذا كان طريقًا رَسَمَ من خلاله سيرته الذاتية بالانتقال من قيد العبودية إلى التحرر، فعنترة كان مولعًا بخوض غمار الحروب التي جُسِّدت في أشعاره مبتغيًا من ورائها في ذلك رسم أحداثٍ من سيرته و نلمس مثل هذا في قوله:

وَإِنِّي اليَوْمَ أَحْمي عِرْضَ قَوْمِي وَأَنْصُرُ آلَ عَبْسَ عَلَى العُدَاةِ[1]

فقد اتَّخذ عنترة العبسي من شجاعته أساسًا لتخليد حياته حتى بعد فنائه برسم أحداثها في سيرته الذاتية من خلال أشعاره،كما أبدى جانبًا من تمسكه بقبيلته والدّفاع عنها من كل النوائب وفي ذات السياق يقول:

أَلَمْ تَــعْلم لَحَــاكَ اللهُ أَنِّي أَجُمُّ إذَا لَقِيتُ ذَوي الرِّماحِ[2]

فكان عنترة متميزًا بين قومه في جانبي الفخر والشجاعة، وكل هذا بهدف إثبات ذاته ورسم سيرته واقعية الأحداث في زيٍ تَّخييليٍ، حيث حمل واقع العبد الأسود الشجاع في قالب التخييل بتجاوز للحقائق وتضخيمها، وبهذا حملت آثاره طفولته البائسة بكل جزئياتها ويُرتسم هذا في قوله:

أَنَا العَبْدُ الذَّي خُبِّرْتَ عَنْهُ وَقَدْ عَايَنَتْنِي فَدَعِ السَّمَاعَا[3]

فهذه الأبيات سيرةٌ تسرد طفولة صاحبها، فلم تسلم من الشوائب حتى وإن كان ابنًا لأحد سادة عبس، لكنّه ترعرع بين رعي الجمال وأعمدة الخيام، فشكَّلت هذه الجزئيات حياةٍ بائسةٍ عَنونت سيرته التي قاس كثيرًا لتغييرها، فاتّخذ من الشجاعة سبيلًا لتغيير ما أثر عنه فارتبطت الشجاعة عند عنترة كثيرًا بفخره بذاته وبطولاته التي جسدتها سيرته الذاتية ويظهر ذلك في قوله:

1– **الخطيب التبريزي . شعراؤنا – شرح ديوان عنترة، ص39.**

2– **ديوان عنترة، تح ودراسة، محمد سعيد مولوي، ص 191.**

3– **الخطيب التبريزي . شعراؤنا – شرح ديوان عنترة، ص 90.**

فَاقَنِي حَياءَكِ لَا أَبَا لَكِ، واعْلَمِي أَنِّي امرُؤٌ سَأَمُوتُ إنْ لَمْ أُقتَلِ[1]

فنلمس بروز ذات الشاعر من خلال فخره بشجاعته، فلم يكن العبد الضعيف بل كان فارس عبس وقائدها والحبيب الذي ألق بنفسه في الحروب فقط ليثبت شخصيته لقومه أحقِّيته في حبه لعبلة، فالحب كان أحد العناصر التي ساهمت بشكل كبير في رصد سيرته الذاتية؛ أذْ كان حبه الفاشل لعبلة حافزًا لإبراز ذاتيته ويظهر هذا في قوله:

هَلاَّ سَأَلْتِ الخَيلَ يَا بنة مَالِكٍ إنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِـــي

يُخْبِرْكِ منْ شَهِدَ الوَقَائِـــعَ أَنَّنِي أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عندَ المغنَمِ

أَثْنِي عليَّ بمـــَـــا عَلمتِ فإنَّنِي سَمْـــــحٌ مُخَالَقَتِي إذَا لَمَ أُظْلَـمِ[2]

وفي هاته الأبيات اتّخذ عنترة من شعره سبيلًا لرصد سيرته الذاتية مع إبراز صفاته ومبادئه في طابعٍ واقعيٍ، فتعرضه لمختلف أشكال العنصرية والتهكم كان الدافع وراء ظهور ذاتيته في آثاره الشعرية لملأ ذلك النقص الداخلي، فتحوله من عبدٍ هجينٍ إلى فارسٍ شجاعٍ يُضربُ بهِ المثلُ وفي هذا الباب يقول:

فَإذَا شَرِبْتُ فَإنّني مُسْتهلِكٌ مَالِي، وعِرضِي وَافرٌ لم يُكْلَمِ*[3]

ومن هنا كان الفخر الذَّاتي أدة الشعراء عبر الزمن لتخليد وجودهم من خلال سيَرهم وما حملته من ملامح شخصياتهم من قوةٍ وشجاعةٍ، فعكسوا في ذلك واقعهم، لكنَّهم تجاوزوه نوعًا ما برسم أحداث خيالية ونجده في الكثير من النماذج الشعرية، وكان عنترة ابن شداد أبرزهم؛ إذْ يعتبر من أبرز المفتخرين بذواتهم وشجاعتهم فتظهر الأنا عنده متضخِّمة وبذلك شيَّد سيرته الذاتية في قوله:

1– **ديوان عنترة،، تح ودراسة، محمد سعيد مولوي ص 334–252.**

2– **المصدر نفسه، ص 205– 209.**

3– **ديوان عنترة، تح ودراسة، محمد سعيد مولوي، ص 207.**

***يكلم: لم يجرح وهو تمثيل.**

أَنَا المَوْتُ إلاَّ أَنّنِي غَيْرُ صَابِـــــرٍ عَلَى أَنْفُسِ الأَبْطَالِ والـمَوْتُ يَصْبِـرُ

أَنَا الأَسَدُ الحَامِي حِمَى مَنْ يَلُوذُ بِي* وفِعْلِي لَهُ وَصْفٌ إِلى الدَّهَـــــرِ يُذْكَرُ[1]

فواقع عنترة وحياته ولَّدت شجاعته التي نجدها مبينة في الكثير من المواضع، والفخر الذي طَبَع به حياتَه وشعرَه، ومن خلال كل هذا يكون عنترة بن شداد قدْ حمَّل سيرة حياتِه في ديوانه الشعري فكانت عبارة عن:«مجموعة من القصص يربطها جامع مشترك هو بطولته الخارقة[...] فهي على كل حال تصور حياة الجاهليين وأيامهم وأسماء أبطالهم وأمكنتهم الجغرافية»[2]، فسيرة عنترة الذاتية الموقَّعة في القصيدة العربية القديمة في عصرها الجاهلي حملت واقع عصره وذاته وفق تطبيق لثنائيتي الواقع و التخييل، فالشِّعر رسالة تبليغٍ لمضامين سابقة وتجسيدٍ لأحداثٍ مرَّ عليها الزمن وفي هذا تكمن أهمية الشِّعر فهو القالب الذي مكّن الشعراء من نقل وقائع حياتهم، فإنَّ:« بلاغة الشعر الحقيقية إنّما تكمن في ارتياد اللغة الشعرية لعام الخيال»[3]، فقد أدَّى الشِّعر وظيفة نقل الحقائق، أمَّا التَّخييل فقد لعب دور الخافي لها من خلال إعطاء الشّاعر الحرية المطلقة لحمل سيرته الذاتية، فلا يستطيع الشاعر بناء ذاته من العدم، بل حتى إنَّ:« ثقافة الشّاعر الجاهلي لا تأهله لرسم أو التقاط صورة مفصلة أو إجمالية عن نفسه من الداخل دون وسائط محسوسة، ولذلك توَصل لوصف العالم الطبيعي الخارجي لا يصفه لذاته وإنما ليصفَه ويعبر به في آنٍ واحدٍ »[4]، فعناصر الواقع المحيطة بالشاعر كان لها الدَّور الفعَّال في تشكيل الذات الشاعرة لأنَّ كل جزء منها له علاقة به.

ومن هنا نجدهم يتمتعون بـ:«رؤية غير مباشرة للعالم من يبحث عن تجسيد لرؤيته ضمن معطيات الوجود المتوافرة له فهو في ذلك يمثل جوهر الشِّعر وماهيته كون الشاعر خالق

1–الخطيب التبريزي، شعراؤنا– شرح ديوان عنترة، ص 79.

***يلوذ بي: يحتمي بي.**

2 –انطوانيوس بطرس، الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط1، 2009 م، ص 166.

3– عثمان بدري، دراسات تطبيقية في الشعر العربي نحو تأصيل منهج في النقد التطبيقي منشورات ثالة الأبيار، الجزائر، دط، 2009 م، ص20.

4–المصدر نفسه ، ص .152

للأشكال»[1] كما نجد شعراء آخرين اتخذوا من الفخر بشجاعتهم والتباهي بأنفسهم أداة لتجسيد سيَرهم ومنهم القتَّال الكلَّابي الذَّي نجده من أشَّد المتمسكين والمدافعين عن الأصل الشريف فنلمس في نموذجه مثالًا لذلك:

أَنَا الذَّي انْتَشَلْتُهَا انْتِشَالًا ثُمَّ دَعَوتُ غُلْـــمَةُ أزوالاَ[2]

وهنا يسرد الشَّاعر حدثًا مهمًا من حياته ضُمِّن في سيرةٍ ذاتيةٍ، حيث نلمس كرهَهُ للإيماء وتمسكه الشَّديد بنقاءِ الدمِّ، فقد أقدم القتَّال على قتل إحدى سبايا عمه وأُتُّهم أنَّه قتلها وفي بطنها جنينٌ فأقدم على اجتلاب جثتها من القبر وفتح بطنها ليؤكد لهم صحة قوله.

وفي ذات السياق أدرج القتَّال في سيرته كرهه لغير أهله وتعلُّقه بنسله الصريح ومن هذا المنطلق كثُر اعتزازه بنسبه وفخره به فنجد هذا موضوعا في الكثير من سياقات شعره ومنها قوله:

أَنَا اِبنُ أَسْماء أَعْمَامِي لهَا وَأَبِي إِذَا تَرَامَى بَنُوا الأَمَوان بِالعَارِ[3]

فنجد أنَّ الشَّاعر قد رسم سيرة حياته انطلاقا من ذكر حوادثها وبيان بعض العناصر المشكلة لها، إضافة إلى نماذج أخرى اِتَّخذت من القصيدة العربية القديمة شكلا لتخليد سيَرهم، حيث كان الأعشى الكبير يرسم لوحة حياته من خلال سرد وقائعها وما اِتَّصل بها في قوله:

فَإِنِّي وثَوْبَيْ رَاهبِ اللُّجِّ والّتِي بَنَاهَا قُصَيٌّ وَالـمُضَاضُ بنُ جُرْهُمِ[4]

وقوله أيضا :

1–سعيد حسون العنبكي، الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن، ط1، 2010م، ص388.

2–نجوى مصطفى رجب، لغة الشعر الجاهلي–شعر القتّال الكلابي نموذجًا، مكتبة العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ط1 2008، ص 29.

3–الصدر نفسه، ص 32.

4– ميمون بن قيس، شرح ديوان الأعشى الكبير، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، 2010، د.ط، ص 350

إِنِّي رَأَيتُ الحَـــــرْبَ إِنْ شَمَّرَتْ دَارَتْ بِكَ الحَــرْبُ مَعَ الدَّائِـــــرِ[1]

فقد حمل الأعشى الكبير في سيرته أشكالًا من التعبير التخييلي وهذا ما عُرف عن القصيدة الجاهلية؛ إذْ أنّ الشِّعر يحمل رسالةً كبرى أبلغ من كونها أسلوب تعبير، فقد عرّفه رسكن **Risskan** أنه:«عرض البواعث النبيلة للعواطف النبيلة بوساطة الخيال»[2]، فاتّخذ الشعراء من صور مخيلتهم ما يؤهلهم لكتابة سيرهم وأحداثها بالجمع بين تصوير الواقع في شيء من التخييل، فإنَّ الشِّعر العربي قد صوَّر الواقع بأُطرٍ جديدة، فالقصيدة العربية القديمة ليست مجرد دواوين شعر فقط بل هي الحاملة لتاريخ الذات العربية بأسرها، وممَّا يُستخلص من نماذج رصد الذَّات في القصيدة العربية القديمة ارتباط سيرة الشعراء بجانب الشجاعة الذي كان الشكل البارز في أغلبها ونجده في الكثير من سياقاتها يرتبط بالليل وما يسوقه هذا الأخير من أثر على ذات الشاعر وما يضفيه من أبعاد بطولية: «فحين يتحدث الجاهلي عن شجاعته وشدة بأسه وقوة احتماله[...] وتحديه للصعاب[...] يصف جرأته على خوض المجهول»[3]، فالشَّاعر حمل صورة ذاته رابطا إيَّاها بعناصر واقعه ومن نماذج هذا شعر لبيد بن أبي ربيعة في أحد أبياته قائلا:

إِنِي أُقَاسِي خُطُوبًا مَا يَقُومُ لهَا إِلَّا الكِـــرَامُ عَلَى أَمْثَالِهَا الصُّبُرُ[4]

وعليه نرى أنَّ الشَّاعر الجاهلي قد جسَّد واقعه في نماذجه الشِّعرية لتكون دليلا على وجوده، وفي هذا الصدد يقول اِبن رشيق: «إنَّ أصحَّ الكلام ما قام عليه الدليل وثبت عند الشَّاهد [...]

1– ميمون بن قيس، شرح ديوان الأعشى الكبير، ص 183.

2– نضال محمد فتحي الشمالي، قراءة النص الأدبي مدخل ومنطلقات، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009 م، ص35.

3–نوال مصطفى إبراهيم، الليل في الشعر الجاهلي، اليازوني العلمية للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة العربية،عمان – الأردن، 2009 م، ص70.

4– ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط1 2004، ص 38.

وكذلك خير الكلام الحقائق [...] وأحسن الشِّعر ما أصاب الحقيقة»[1]، فقد تناول ابن رشيق في طرحه سلامة السيَر وعلاقتها بالواقع دون تضمين لصور من نسج الخيال، ومن هذا المنطلق عُدَّ الشَّعر الواقعي من أفضل النماذج، فالمكان في الشِّعر الجاهلي هو دليل على الوجود الإنساني ومكانته في السيَر الذاتية لهؤلاء الشُّعراء هو دليل على صدق وجودهم الذَّاتي وقد تراوحت الذاتية عندهم بين رصد للواقع في ذاته وبين توظيف للتخييل الذي عمد إليه ليحمل صورة أحداثه بشكل غير الذي اعتادت عليه السيرة الذاتية في غير الشعر ثم إننا نجد الشَّاعر يقوم بمهمة المؤرخ فهو الذي رصد تاريخ الذات في مجاله فنجده منزاحًا نحو:«قدرة الخيال لإعادة تشكيل الأشياء [...] وقد يفيد من المعلومات التاريخية[...]والوقائع والأحداث»[2]، فتمثل القصيدة العربية القديمة وخاصة الجاهلية قالبًا من الذاتية فيمثل الإنسان في ذلك مركز العملية التاريخية، فالذَّات البشرية تعتبر:«كائنا تاريخيا [...] من خلال التجارب الموضوعية للحياة والتعبيرات الثابتة التي تنتمي للماضي»[3] فشكل الإنسان محور القصيدة العربية لأنَّها حملت ذاته وتحدثت بلسانه وعليه كان العصر الجاهلي عصر الصراع والقبلية وهو الذي أعطى الذات حلته فتكلمت عن نفسها بروح عصرها .

❖ السيرة الذّاتية في وصف الشعراء للرحلـة:

كان للرِّحلة نصيب من مسيرة الشعراء، ففي واقع غلب عليه السطو في الصحاري القاحلة، أصبحت الرحلة«هاجسا لدى الشَّاعر يمثل به لحياة قبيلته ويعبِّر به عن تجربة حقيقية يمارسها ويعانيها»[4]، فصنِّفت الرِّحلة شكلًا لحمل أحداث الذَّات الشَّاعر وما مرَّت به من وقائع حقيقية أو خيالية، وقد اتخذ الشاعر منها أداة لرصد سيرته وأيامه:«في أثناء رحلته ينزع الشاعر إلى لونٍ من توكيد

1–الناصر العجيمي، الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم–الشعر الجاهلي أنموذجا–ج1، ج2، مركز النشر الجامعي، منشورات سعيدان، سوسة – تونس، 2003م، د.ط، ص 94.

2– إبراهيم أحمد ملحم، شعرية المكان–قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة، عالم الكتب الحديث، اربد– الأردن، 2012 م– 143 هـ، ط1، ص 23.

3–عاطف أحمد الدرابسة، قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل، دار الكتاب العالمي، عمان– الأردن، 200، ط1، ص 63 .

4–عمار ونيس، الواقع الشعري والموقف النقدي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 58 .

الذَّات وتجسيم التجربة بذكر الأماكن التي مرت بها الضغائن فيذكر مسارها محدِدًا الكثير من الأمكنة في بعض الأحيان»[1]، فرحلة هؤلاء كانت جزءًا من حياته حملة في أشعاره برصد لجزئياتها.

وقد صار عنترة بن شداد على هذا الأثر في رصد سيرته الذاتية من خلال رحلاته التي كانت تصور حياته وأحداثها وهذا ما بينه قوله:

فَقُلتُ تَبَيَّنُوا ظُعُنًا أَرَاهَـــــــا تَحُلُّ شَوَاحِطًا جُنَحَ الظَّلَامِ[2]

كما حملت أشعار امرئ القيس بعضاً من نماذج السيرة الذاتية من خلال علاقاته المختلفة وسرد أحداث حياته فنلمس جانبا من الفردانية في أثاره فبروز الأنا بكثرة كانت موجهة لتحقيق ذاته من خلال انفصالها عن المكان، فشكَّلت الرِّحلة أحداثًا واقعية في سيرة امرئ القيس حاملًا فيها وقائع صعبة لقيها، فكان للطبيعة حظ منها ونلمس هذا في قوله:

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصُرِي إِنِّي امرؤ صَرْعِي عَلَيكِ حَرَامٌ[3]

فالطابع الجاهلي القائم على الترحال عُكس على ذات الشَّاعر ليتمثل عنده شخصية متميزة في سيرته الذاتية، ويتجلى ذلك في سرد وقائع رحلاته وما لقيَه خلالها من مصاعب متخذاً من الحيوان والطبيعة عناصر لإتمامها فشكَّلت بذلك أدباً متميزًا داخل فنُّ السِّيرة، وعليه فإن:«الرِّحلة في أولية الشعر لم تكن إلاَّ تعبيراً مباشراً ووصفاً تقريرياً للنقلة التي كانت تحتل جانباً ضخماً من صراع الحياة اليومية»[4]، وعليه فإنَّ الرِّحلة في ذلك العصر كانت مَدعاةً لتجسيد الذَّات الفردية والجمعية معاً، ومنها عمد الشَّاعر إلى تجسيد سيرته الذاتية وإعطائها جانباً من التَّخييل الذي يكمن في تصوير أحداثٍ تتجاوز الواقع فتظهر فيها الأنا متضخمة مدَعِّماً ذلك بالذاكرة التي تحفظ ما غيبته الأيام.

1–عمار ونيس، الواقع الشعري والموقف النقدي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 61 .

2–ديوان عنترة، تح ودراسة، محمد سعيد مولوي، ص 242

3–ديوان امرؤ القيس– تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 115 – 116.

4–إيمان محمد العبيدي–شعراء الطبقة الأولى الجاهلية تحت ظلال نظرية القراءة، دراسة نقدية تحليلية، دار دجلة للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2014، ص 181.

ومن منطلق هذا الطَّرح صوَّر زهير بن أبي سلمى حياته متخذاً من الرِّحلة أوَّل بداياتها من خلال نقلٍ لأحداثها ووصفٍ لها وكذا الحب الذي شغل أيامه،كما ضمَّنها شيئاً من الاستذكار واللوم فكانت الرحلة في ذلك أساسًا في تكوين سيرته لأنها:«عملية من الرصد والتسجيل لمسيرة هذا الركب»[1]،فحملت الرِّحلة بهذا مغامرات وقصص الشعراء وأحداثهم مشكلة بذلك سيرهم الذاتية، كما مثّلت العصبية نظامًا أساسيًا في العصر الجاهلي، ونلمس هذا من خلال فخر الشُّعراء بقبائلهم والدِّفاع عنهم وفي هذا الصدد مثَّل دُريد بن الصِّمَّة مثال لذلك حيث نجد شخصيته مذابةً في شعره و مصورًا عصره وانعكاسه عليه ونموذج ذلك قوله:

وَهَلْ أَنَا إلاَّ مِنْ غَزِيَّةَ أَنْ غَوَتْ غَوَيتُ وَإنْ ترشُدْ غَزِيَّةُ أرشُدِ[2]

❖ السيرة الذّاتية في المقدّمات الطللية:

أمَّا الطلل فله علاقة بحياة الشعراء، فلم يكن مجرد بكاءٍ فقط بل إنَّه نوع من الاستذكار لسيرة ذاتٍ لها ذاكرة مدونة في شعرها، فالطلل هي الأماكن التي تركت بصمةً لدى الشَّاعر، إذْ نجد لها دلالة في حياة العربي وفي شعر عبيد بن الأبرص نموذجاً لسيرة ذاتية متصلة بالطلل ونلمح ذلك في قوله:

إنِّي اهْتَدَيتُ لرَكْبٍ طَالَ سَيْرَهُمْ فِي سبَبٍ بينَ دِكْدَاكِ وأعقادِ

يُكَلِّفُونَ سُرَاهَا كُـــــلُّ يَعْمُلّةٍ مِثْلِ المهاةِ إذَا احْتَثَّها الحَادِي[3]

فكانت أحداث حياته ومَا واكبها من أماكن وغيرها مصاغة في سيرته الذاتية، أمَّا طرفة بن العبد فقد حمل سيرته من خلال جانب الغزل الذي استولى على جزء كبير من حياته فذُكر في أثاره قِصَصاً وأحداثاً لها علاقة وطيدة بواقعه وشخصيته فنجد هذا في قوله:

وَإنِّي لَأَمضِي الهَمَّ عِنْدَ احتضارِهِ بِهَوجَاءَ مِرْقالَ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

1–أنور حميد فشوان، دراسات في عصور الأدب العربي، ص21.

2–سامي يوسف أبو زيد، الأدب الجاهلي، دار الميسرة، عمان، ط1، 2011 م–1432 هـ، ص 26.

3–المصدر نفسه، ص 70.

تُبَارِي عِتَاقاً ناجياتٍ وأتْبَعَتْ وظَيْفاً وظَيْفاً فَوقَ مُوْر مُعْبَّدِ[1]

فنلمس أنّ سيَّر الشُّعراء الجاهليين قد اتفقت في حملها لبعض الوقائع الحقيقية الملتمسة من الواقع كالحب وارتباطه بالشجاعة وهو ما نلمسه في شعر الشنفرة في قوله:

وَإِنِّي لَحُلْوٌ إنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتِي وَمُرٌّ إذَا نَفْسُ العَزُوفِ اسْتَمَرَّتِ[2]

فالشنفرة سرد سيرته الذّاتية المطابقة للواقع مع مزج للتخييل الذي جعل منها أداة ليبيّن ما يصبوا إليه في حياة الصعلكة.

❖ الرثاء ملمحا للسيرة الذّاتية:

لقد كان للرثاء نصيب في رصد سيرة الشعراء الحياتية؛ إذ نجده مّثل دورًا كبيرًا في بروز الذّات، وفي هذا الصدد يقول يوسف اليوسف:«بيد أن العامل التاريخي أو الاجتماعي لن ينسنا الدّافع الذاتي أو الإنساني للرثاء، فالمرثي هو دومًا قطب الصورة والمرثاة وبعدها الأول الأمر الذي من شأنه أن يؤكد إنسانية الرثاء الجاهلي»[3]، فتداخل الرثاء كعنصر لتجسيد سير الشعراء هو تأكيد على بروز الذّات في ذلك العصر ورغبتها في خلق مكانة لها في المجتمع وهناك نماذج عدّة تظهر هذا النوع و منها قول أبو ذؤيب الهذلي:

وَتَجَلَّدِي للشَّامِتِينَ أُرِيهُمُ أَنِّي لِرَيبِ الدَّهرِ لَا أَتَضَعْضَعُ[4]

إضافة إلى رثاء امرئ القيس وإدراجه ضمن رثاء الذّات فضُمِّن هذا الأخير في سياق سيرته الذاتية برصدٍ لأحداث خروجه من قبيلته بحثًا عن قاتل أبيه ثمّ موته دون قومه فقال يرثي نفسه:

أَلَا أَبْلِغ بَنِي حِجرَ بنُ عَمْرُو وَأَبْلِغ ذَلكَ الحَيَّ الجَديدَا

1–أنور حميد فشوان، دراسات في عصور الأدب العربي، ص 50

2–ديوان الشنفرة، إميل بديع يعقوب، ص 38.

3–عمار ونيس، الواقع الشعري والموقف النقدي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 55.

4 – عبد الرحمان شكري، دراسات في الشعر العربي، ص 160.

بأَنِّي قَدْ بَقيتُ بَقَـــاء نَفْسٍ ولم أخلقْ سَلَاماً أو حَديـــدَا

وَلَوْ أَنِّي قَدْ هَلَكَتُ بِدارِ قَـومٍ لَقُلتُ الموتُ حَقّاً لَا خُلودَا[1]

إضافة إلى تصوير الشّعراء لسيَرهم انطلاقًا من الواقع الصحراوي الذّي مثّل العتبة الأولى لذلك، وعليه نجد أن أبو المثَّلم الهذلي قد جعل من عناصر الطبيعة مبادئ لتجسيد ذاته فقال في إحدى نماذجه:

أَنَسْلَ بني شِعارَةَ مَنْ لِصَخْـــرٍ فإنّي عن تَقَفُّركمْ* مَكِيـــتُ

أَلَا قُولا لعَبْدِ الجَهْلِ إنَّ الـــــ صَحِيحَةَ لَا تُحَـالِبُها الثلوُثُ*[2]

فمثّلت الطّبيعة بذلك أهم عناصر رسم السيرة الذاتية للشاعر الجاهلي، فهي التي منحته التجارب الحيَّة ثم اشتغل عليها لإبراز ذاته من خلال التخييل الذي ساعده على ذلك،فالقصيدة الجاهلية كانت مثالًا للتّفرد والذاتية، فامرؤ القيس الذي عُرف بتجاربه الشخصية كان مثالًا حيّاً عن إبراز الذّات والإحاطة بها، وعلى هذا الأساس كانت القصيدة العربية القديمة مسيرة لحياة الشعراء فإنَّ:«القصيدة عند عمرو وعشرة من الشعراء الحجازيين تعد امتدادًا لتجربة امرئ القيس الشعرية في تقديمها مشاهد الفتك واللهو»[3]،وبهذا اعتبر امرؤ القيس السبَّاق في رسم السِّيَر الذَّاتية ورصدها ثم سار على أثَره جمع من الشعراء الآخرين، وعليه فإنّ هؤلاء لا يجسدون الواقع كما هو وإنما يلجأون إلى دلالات خفية لتصويره.

2/السيرة الذّاتية في مضامين القصيدة العربية في صدر الإسلام:

1–ديوان امرئ القيس، صحّحه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط5، 2004، ص 55.

*تقفركم: إتباع الأثر /*التلوث: الناقة التي ذهب واحد من أخلافها أي تحلب من ثلاثة.

2–فاضل بنيان محمد، الطبيعة في الشعر العربي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014م–1435هـ، 263–265.

3–محمد مصطفى أبو شوارب، الحب في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 2006م، ص 21.

مع انقضاء عصر الجاهلية حلَّ عصر جديد اِتسم بالقيم والمعتقدات الإسلامية مقصدها الحق والصلاح داعيةً إلى إقامة أدبٍ اجتماعيٍ دينيٍ حاملٍ لكل ما يدعو إليه الإسلام، وقد عرف تفوقًا لم يشهد له مثيل:«فقد بلغ قمة نضجه في نهاية العصر الجاهلي بوصفه ما زال قادرًا على التعبير عن الحياة من حوله»[1]، غير أن مضامين القصيدة العربية لم تختلف عن غيرها من العصور، فما تزال محافظة على طابعها الذّاتي الفردي إذْ:«أصبحت قادرةً على أن تقدمَ أحوالًا فردانيةً لشخوصٍ محددين مبرزة تجارب فردية لها من الخصوصية ما يميزها عن تجارب الآخرين»[2]، وعلى هذا الأساس عُدّت قصيدة صدر الإسلام امتدادًا لسابقتها، من خلال حملها لسيَر وأحوال الذّات والعصر معاً.

❖ فخر الذّات في القصيدة الإسلامية:

لقد استحوذت القصيدة العربية في ظلِّ الإسلام كسابقتها نماذج من السير ذاتي الحاملة لأحداث شعراء والتي تغني الشعراء فيها بصفاتهم ومنها قول حسّان بن ثابت:

إِنِّي أُكَارِمُ مَنْ يُكَارِمُـــنِي وَعَلَى الـمُكَاشِحِ ينْتَحِي ظُفُرِي

لَا أَسْرِقُ الشُّعَرَاءَ ما نَطَقُوا بَلْ لَا يُوَافِقُ شِعْرَهُمْ شِعْـــرِي[3]

فيظهر حسان متباهيًا بنفسه وصنيعه، حاملا في سيرته الذاتية خصاله. وقال في سياق آخر:

إِنَّ سَأَقْصُر عِرْضِي عَنْ شِرَارِكُم إِنَّ النَّجَاشِي لَشَيءٌ غَيْرُ مَذْكُورِ[4]

فما نلمسه في القصيدة الإسلامية هو عودة بعض الشعراء إلى التّغني بالأمجاد والبطولات ضمن ما درج سابقًا في إطار الفخر الذاتي؛ لاعتبارها الغرض الرئيس في إثبات الذّات الشّاعرة ولما عرفه العصر من صراع وحروب لاسيما تمسك العربي بالشجاعة والتغني بالسيف وفي هذا الصدد جاءت سيرة قيس بن سعد بن عبادة فيقول:

1–محمد مصطفى أبو شوارب، الحب في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 83 .

2–المرجع نفسه، ص 20

3–عبد الرحمان برقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت،2008 د ط، ص 141–142.

4–المصدر نفسه، ص 168.

أَنا اِبن أَرْطاةٍ عَظِيمِ القَدْرِ مُرَدِّدٌ في غَـــالِبِ بـــنِ فِهْـــرِ

ليسَ الفرارُ من طِباعِ يُسْرِ أنْ يَرْجـعَ اليَـــومَ بِغيـــرِ وِتْـرِ[1]

إضافة إلى فخر حسّان بن ثابت الذي صنع سيرته الذاتية من خلال قوله :

وَإِنِّي لَمُعْطٍ مَا وَجَدْتُ وَقَائلٌ لِـمُوقِدِ نَارِي لَيْلَةَ الرِّيـحِ أَوْقِـــدِ

وَإِنِّي لَقَوَّالٌ لدَى البَثِّ مَرحَبًا وَأَهْلًا إِذَا مَا جَاءَ مِنْ كُلِّ مَرْصَـدِ

وَإِنِّي لَيَدْعُونِي النَّدَى فَأُجِيبُهُ وَأَضرِبُ بَيْضَ العَارِضِ المتَوقِّـــدِ[2]

فقد سرد حسان سيرته الذاتية في بعض قصائده من منطلق الفخر بالذات الشُجاعة واللسان المتوقد متجاوزًا في ذلك حدّ الواقع بتوظيفه لمفردات درجت سيرته ضمن التخييل الذاتي إضافة إلى رصٍ لخصاله ومناقبه.كما جسد زهير بن أبي سلمى ذاته في ديوانه من خلال الفخر الذي جعل منه وسيلته لتأكيد الذاتية ورسم سيرته الشخصية ونلمس هذا في قوله:

فإنّي لَا يَغُولُ النَّأْيُ وُدِّي ولَا مَا جَاءَ منْ حَدَثِ الزَّمـــانِ

وَإنّي في الحُرُوْبِ إذَا تَلظَّتْ أُجِيْبُ المُسْتَغِيثَ إذَا دَعَـــانِي[3]

وهكذا اِتخذ الشاعر من الشجاعة والفخر منوالا لتأكيد الذات وهذا ما عُرف به شعراء الحماسة فهم من اتخذوا من الحروب حياة ثانية لا بل أساسا لشخصياتهم راصدين من خلالها سيرهم، فقد مثل شعر الحماسة في العصر الإسلامي ارتباطه الوثيق:«بتصوير حي لأحداث الإسلام وسجِّل لما يجري في الغزوات»[4]، فكان الشعر بذلك أداة الشعراء للدفاع عن الإسلام بالإضافة إلى سرد شجاعتهم في حروبها، كما كان للصحابة حظٌّ من الشعر فنجدهم يتغنون بذواتهم والفخر بها

1–قيس كاظم الجنابي، أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي، ص 70.

2–عبد الرحمان المرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص36 .

3–حنّا نصر الحتي، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007، د. ط ص 259.

4–محمد الأزهر باي، حسان بن ثابت شاعر الجاهلية والإسلام، ص 62.

وقد كان الإمام علي بن أبي طالب نموذجًا لصحابة الرسول الذين اتخذوا الشعر وسيلتهم لإثبات ذواتهم ونلمح ذلك في قوله :

أَنَا اِبنُ ذِي الحَوْضَيْنِ عَبْدُ المطَّلِب وَهَاشِمُ الـمُطْعِمُ في العَامِ السَّغَبْ[1]

فالإمام علي يُظهر ذاته من خلال سرد أيام حياته ونسبه الشريف وفخره به. إضافة إلى قوله:

إنّي أجَـلُّ ثـرًى حَـلَلْتَ بِهِ عَن أنْ أُرَى لِسواهُ مُكْتَئِـــبـَا[2]

وعليه فقد مثّل الشّعر في عصر صدر الإسلام سلاحا مدافعا عن الدعوة، كما جُعِلَ طريقا لإثبات الذّات وسرد عوالم الشخصية وهذا ما سلكه الشعراء في دواوينهم .

3/السيرة الذّاتية في القصيدة الأموية:

لم تقتصر خطابات الأنا على العصور المذكورة فقط، بل شملت كل عصور القصيدة العربية، فنجدها تحفل في العصر الأموي بنماذج مثّلت السّيرة الذاتية للشعراء آنذاك فإن أساس القصيدة هو الأنا فكان الأدب بذلك:«جوهر العلاقة بين الشاعر وذاته»[3]فكان بذلك المصدر الذي عبر من خلاله الشعراء عن حوادث حياتهم.

❖ **الحب في قصيدة السيرة الذّاتية:**

يعتبر الحب أعلى أشكال التصوير الذاتي، فهو الذي أبرز صلة الشاعر بمن حوله؛ فنجد أن:«الشاعر ينطلق لسانه [...] بأعمق ما في وجدانه من المشاعر وأن تظهر في لغته أكثر الأمور ملامسة لإحساسه[...] فقد انطلق من نقطة ارتكاز الكون في نظره [ذاته] معبرًا عنها بفيض من مشاعره المرهفة لتكون أوَّل خاطر يفرض نفسه على نصه والمرأة هي محور ذاته»[4]، فنلاحظ أنّ الحبّ في أسمى صوره قدّ صور ذات الشّاعر العربي في ذلك العصر مبديا تطلعاته، ثمَّ إنّ شعراء الغزل انصرفوا إلى تجسيد شخصياتهم للفخر بها وإعلاء سلطتها وفرض وجودها ولذلك فإنّهم قد بحثوا عن كل ما

1– صلاح الدين الهواري قدم وشرح، من الشعر المنسوب إلى الإمام علي–ديوان الإمام علي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2003 م، ط1، ص25.

2– المصدر نفسه، ص 27.

3– ياسر محمود الأقرع، الحب عند شعراء الشام في العصر الأموي، دار الإرشاد، سوريا،2008 م، د ط، ص 66.

4– المصدر نفسه، ص 24 .

من شأنه تحقيق ذلك فنجدهم:«يندفعون إلى كل ما يبرز ذواتهم ويعاملها بالقداسة [...] وفي كل مغامرة من مغامراتهم نصر لذواتهم [...] فإن أهم ما يلفت نظرنا في أشعار هؤلاء هو تلك الأنا التي تغص بها النصوص وتشكل في الواقع محور علاقات الشاعر بما حوله وخصوصا المرأة»[1] وبذلك نجد أن المرأة محور شعر المتغزلين وأبرز وسائل إثبات الذاتية فإدراكه لمجريات عصره دفعه إلى النظر إلى داخله وتجسيد الذات لديه، كما جاءت سيرهم متخلّلة في أثنائها ذكر للأماكن التي شُكِّلَت بفضلها سيرهم، فلم يكن ذكرها مجرد تغني بالطلل وسرد لها بل نجدها تمثل دلالة أعمق من ذلك فهي تمثل لدى الشاعر:«في أعماقه حرارة التجربة التي عاشها»[2]، فتعداد الأماكن له صلة بذاتية الشاعر فهي التي مكّنته من خوض تلك التجارب كما عملت على الاحتفاظ بذّكريات مرَّ عليها الزمن، وبهذا نجد أنّ المكان لدى الشعراء مثل عتبة المرور إلى ما يؤهلهم لسرد واستبقاء سيرهم، فكان له علاقة وطيدة بحالة الشاعر وقد حُملت خطابات الأنا في العصر الأموي على أيدي شعراء كثر لعلَّ من أبرزهم المثلث الأموي المشكّل لشعر النقائض، حيث كان شعرهم مثالًا لسيَر ذواتٍ إنسانيةٍ.

❖ **الفخر في قصيدة السيرة الذّاتية.**

لقد كانت القصيدة الشعرية في العصر الأموي صورة شاعرها في عصره وزمانه، بأغراضها وأساليبها، فلم ينزاح عن الأطر السابقة، فقد كان هو الآخر تجسيدا للذات والاعتزاز بها ومثلها قول جرير:

وَإنِّي لَعَفُّ الفَقْرِ، مُشْتَرَكُ الغِـــنَى، سَريعٌ، إذَا لم أَرْضَ دَارِي، اِحتمـــالِيَا
جَرِيءُ الجَنَانِ لا أُهَــالُ منَ الرَّدَى إذَا مَا جَعَلْتُ السَّيْفَ من عن شمالِيَا
وَلَيسَ لسَيْفِي في العِظامِ بَقِيَّـــــةٌ وَلَلسَّيفُ أَشوَى وَقْــعةً مِنْ لِسَانِيا[3]

فقد لعب الفخر والشجاعة في الشعر نموذجاً بارزاً لإثبات الذات والتغني بها، فنجد أنَّ القصيدة العربية قد حفِلت:«بصور الشجعان الأبطال وأولع الشّعراء بتمجيد البطولة سواء في

1– **ياسر محمود الأقرع، الحب عند شعراء الشام في العصر الأموي، ص 66.**

2– **المصدر نفسه، ص 25.**

3– **ديوان جرير، شرحه وقدّم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1971 م، ط4، 2009، ص 460–461 .**

مفاخراتهم أو مدائحهم وصور مألوفة تفاوت شعراء في إبرازها»[1]، فالذات الشاعرة قد فرضت نفسها في القصيدة العربية في ذلك العصر وخاصة فيما تعلق بجانبي الشجاعة والفخر لأنهما عنصران مهمان فرضهما الواقع المعيش، كما نلمس نماذج أخرى من تصوير الذات في القصيدة العربية القديمة فقال جرير في سياق تجسيد ذاته :

أَنَا المَوْتُ الذّي آتي عَلَيكُـــمْ، فَلَيسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَـــــــاءُ[2]

أَنَا ابنُ الخَـــالِدَينِ وَآلَ صَخْرٍ أَحَـــــلَّانِي الفُـــروعَ وفي الرَّوَابي[3]

أَنَا البَازِي* المدِلُّ على ثُمَـــيرٍ، أُتِحْتُ مِنَ السَّمـــاءِ لها انصِبَابَا[4]

أمّا الفرزدق فقد حمل سيرته الذاتية كغيره من خلال سرد وقائعه وأيامه في قوله:

أَبُوهُ الّذي قَالَ: أُقْتُلُوهُ، فإنَّني سَأَمْنَعُ عِرْضي أنْ يُسَبَّ بِهِ أَبِي[5]

وقوله كذلك :

إنِّي اِبنُ حمَّالِ المِئِينَ غَالِبٍ، قَطَعْتُ عَرْضَ الدَوِّ غَيرَ رَاكِبِ[6]

❖ ملامح السير الذّاتي في قصيدة الرثاء:

لم تتغير شاكلة القصيدة العربية من حيث الأغراض رغم اختلاف عصرها، فقد ظلّت تحمل في ثناياها تلك الأنماط التي تحمل هي الأخرى شيء من الذاتية، ومنها غرض الرثاء الذي يرافق الشاعر في حياته، لأنه جزء منه ومن أيامه، فكان في بعض القصائد «يرثي الإنسان نفسه وهو على شفا الموت وفي النزع الأخير فيأخذ في بكاء نفسه وذكر مناقبه ومآثره فيصف الإخوان والأحبة»[7]،فنجد أن الشعراء أدرجوا في كتابة سيرهم كل ما له صلة بذواتهم ومنه الرثاء الذي عدَّ

---

1 – ابتسام مرهون الصَّفار، فضاءات في الأدب العربي القديم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان،2008م –1429 هـ، ط1،ص15.

2 –ديوان جرير، شرحه وقدّم له مهدي محمد ناصر الدين، ص 12.

3– المصدر نفسه، ص 32.

***البازي: من الطيور الجوارح.**

4– المصدر نفسه، ص 60.

5– ديوان الفرزدق، كرم البستاني، دار صادر – بيروت، ط1 1427هـ– 2006م، ص14.

6– المصدر نفسه، ص 18.

7–لطفي منصور، بحوث ودراسات في الحضارة والأدب، دار الفكر، عمان،2007 م– 1428 هـ، ط1، ص 32.

رحيلًا عن الأهل، فاتّبعت ذات الشاعر كل السبل لتبدو أكثر فاعلية، وعليه عدّتْ قصيدة مالك مثالًا عن رثاء الذات في العصر الأموي، فقد حملت شذرات من«رثاء الذات والافتخار بإنجازات الماضي»[1]، فحملت في فحواها رثاء لذاتٍ شاعرةٍ تصبو إلى تحقيق الواقع وجلب بعض صور التخييل فنجدها:« تمتزج الخيال مع الواقع في إحساس الشاعر فيرسم لنا بكلماته صورة لحالته وما هو مقبل عليه، ويتراءى له شبح الموت يهوي فيصرعه»[2]، فسيرة هؤلاء جمعت بين الواقع والتخييل، فالشّاعر ينقل واقعه بكلام متخَيل عليه فإنّ العصر الأموي قد صُنف ضمن العصور المزدهرة التي شهدت موجة تحول ونقطة انفصال في الموضوعات الأدبية، ومن بينها الذّات الشاعرة التي أبرزت تلك العلاقة الرصينة بين الشاعر وذاته فما الأدب إلّا:«تعبيرًا عن الذات وتمثيل للواقع في أفق الحيوية والوجدان»[3]باعتبار أنّ هذا العصر عرف تناقضًا وتوترًا كبيرًا في إحدى جوانبه عمد الشعراء إلى التعبير عن «ذات أنفسهم وذات عصرهم وفي كل ما اضطربوا فيه من مذاهب دينية وسياسية وشؤون حضارية مادية أو ثقافية»[4]، فالنّص الشّعري الأموي حمل روح عصره ساردًا أحداثها وكذا وقائع الذات فيها، ومما يلفت النظر أنّ قصيدة هذا العصر عرفت تطورًا كبيرًا، إذْ نجد الشعر:«في حقبة ازدهاره [...] يسير سيرته، وحتى لتكاد تكون النقائض ديوانًا لأيام العرب ووقائعهم في الجاهلية والإسلام، ويتسع الفخر في النقائض، إذْ أن فن النقائض يقوم على الإلمام الواسع بتاريخ العرب وأيامهم»[5] فمثلت القصيدة هنا نموذجًا لسيرة الذّات في العصر الأموي.

4/السيرة الذّاتية في القصيدة العبّاسية:

شغلت السيرة الذاتية في العصر العباسي حفاوة كبيرة في القصيدة العربية القديمة، فاحتلت الأنا مركز الإبداع الشعري فيها، فكان منها نماذج عدّة تحمل شعرًا هذا في سياق السيرة وخطاب الأنا ومن بينها قصائد المتنبي، الذي عُدَّ الشاعر الأوّل في عصره وفي مجال الشعر الذاتي أيضا، فعرف

1– لطفي منصور، بحوث ودراسات في الحضارة والأدب، ص 40.

2–المصدر نفسه، ص 42.

3–المصدر نفسه، ص 42.

4–لطفي عبد البديع، جماليات الإبداع بين العمل الفني وصاحبه، مجلة فصول، مج 6، ع4 ،1986، ص 61.

5–شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة– عمان، 2014، د.ط، ص 130.

بنرجسيته الكبيرة التي فاقت كل تقدير، فتصوير الأنا في شعره وتضخمها بيانٌ لذاتية الشاعر وعليه فقد كان عنوانًا لعديد الدراسات من منطلق توظيفاته للأنا فقد كانت تربط:«بين تطلعاته الشخصية وأحلامه الخاصة وآماله المتجددة»[1]،فانبثقت هذه الدراسات من خلال بيان شخصية الشاعر في أعماله، ثم إنَّنا نجد الشّاعر في ديوانه يسعى إلى بيان عظمته بتجسيد ذاتيته وهو مسعى جلِّ الشعراءِ من خلال تدوين سيَرهم الذّاتية في أشعارهم ابتغاء أن تبقى ذات الشّاعر وأنْ تلاقي:«مجدًا ويخلِّد ذكراً وبهذا يمتاز عن غيره من الكثيرين فيكتب لهم الخلود بدوام ذكرهم»[2]، فنجد هؤلاء الشعراء من خلال شعرهم يسعون إلى تخليد ذواتهم والإبقاء على أثر لهم ولا يكون ذلك إلا بتضمين تلك الذوات في دواوينهم.

يعتبر ديوان المتنبي نموذجًا طبقت فيه السيرة الذّاتية الشعرية بحوافرها إن صحّ القول، فمن الملَاحظ أنّ ضمير الأنا قد تكثف في تعبيراته ليُجسد ذاته، فقد جاء في عديد السياقات في شاكلة الفخر ونلمس مثل هذا في قوله:

فَضَاعَةُ تَعْلَـــــمُ أَنِّي الفَتَى الّ ذي اِدَّخَرتُ لصُرُوفِ الزَّمـــانِ

أَنَا ابنُ اللِّقاءِ، أنَا ابنُ السَّخَاءِ أنَا ابنُ الضَّرابِ، أنا ابنُ الطَعَّانِ

أَنَا ابنُ الفَيافِي، أنَا ابنُ القَوَافِي أنَا ابنُ السُّروج، أنَا ابن الرّعـانِ[3]

وهنا في هذه الأبيات نجد ضمير المتكلم يمثّل الفخر والتعظيم والتعالي بالنفس، فهو الشّاعر المتعالي بذاته وعرف عليه الإفراط في ذلك، وفي هذا السياق يجسد الشاعر الذاتية عنده فبسرد صفاته التي مثلت الأنا عنده مبرزًا فضائله فتكرار صيغة الأنا في كلام دليل على تجسيد سيرته الذاتية.

1–بهاء حسب الله، ظواهر أدبية في الشعر العربي القديم والمعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006 م، ط1، ص 87

2–حمدي محمود منصور–ناصر الدين الأسد، دراسات في الشعر الجاهلي والإسلامي، ص 26.

3– أبو الطيب المتنبي، الديوان، ص 121 –122 .

إضافة إلى قوله في ذات الصدد :

أَنَا الذَي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعْت كَلِمَاتِي مَن بِـــه صَمَمُ[1]

في هذا التعبير برزت ذاتُ الشّاعر من خلال الفخر الذّي كان صورتها في قالب من التجاوز والمبالغة في إطار التخييل، فقد انطوت بعض الألفاظ ضمن إطاره ومنها (نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم) وفيها تجاوز الشّاعر المألوف والمتعارف إلى ما دونه ليشكل سيرته الذاتية في صورة الفخر بصورة خيالية.

إنّ الشّاعر في مجمل خطابات الأنا التي تضمنها شعره، يوظف الفخر لتجسيد ذاتيته فنلمس في قوله ما يبين ذلك:

إِنّي أنَا الذَّهَبُ المعرُوف مَخْبَرُهُ يَزِيدُ في السَّبكِ للدِّينَارِ دينارًا[2]

وهنا تأكيد الشّاعر على ذاتيته وفخره بها وفي المضمون نفسه يقول:

وإِنِّي لَنَجمٌ يَهتَدِي صُحْبَتِي بِه إِذَا حَالَا مِن دونِ النُّجومِ سَحَابٌ[3]

ففي هذا البيت الشاعر قد أفرط وبالغ ثم إنه تجاوز الواقع في رسم سيرته الذاتية بشيء من التخييل.

أما قوله :

أَنَا صَخْرَةُ الوَادِي إِذَا مَا زُوحِمَت وإِذَا نَطَقَـــت فَإِنَّني الجَـــوزَاءُ[4]

1–أبو الطيب المتنبي، الديوان، ص 247.

2–المصدر نفسه، ص162.

3–شرح ديوان المتنبي، ص147.

4–أبو الطيب المتنبي، الديوان، ص125.

وفي قوله هذا صوّر ذاته بالصخرة معتدًّا بها،كما شبهها بالجوزاء لبلاغة العلو، فنجده في كليهما متضخم الأنا مفتخراً متجاوزًا حدود الواقع فيها، وهكذا وجد المتنبي في الفخر سبيلا لتأكيد ذاته وهذا ما شكل لديه تضخمًا كبيرًا ولد ما يصطلح عليه بالفخر الذاتي ونلمس هذا في ديوانه بكثرة.

ومثله قوله :

أَنَا تُرْبُ النَدَى رَبُّ القَوافِي وسِهَامُ العِرَى وغَيْظُ الحَسُودِ[1]

الشّاعر يفخر بذاته ويعتد بها ويشيدها في شعره من خلال سرد قوتها وأولياتها على غيرها وبهذا يكون قد كتب سيرته الذاتية في ذلك، فالإنسان يحكم الذات ويستعين بها في أيامه

وحوادثها ومن هذا الطرح عرّف حنّاَ الفاخوري الإنسان بأنه:«سجين ذاته منذ الولادة يديم النظر في مرآته مستجليا محاسنها، سابغا قبائحها بما يجعلها في ميزانه دون قبائح الناس»[2]، وهذا ما نرصده

في شعر المتنبي الذي فرض ذاته بشكل بارز، فهو لا يرى سواها فتواجد الأنا في شعره بكثرة دليل على تعلقه بها أما الفخر المرتبط بذاتية الفردية للشاعر فيتجلى من خلال تركيزه المكثف على الأنا، ونجد الشاعر حتى في توظيفه للأغراض الأخرى يضمن ذاته ويفتخر بها ومثلها في غرض الهجاء فلم تختفي ذاته فيه ويتأكد هذا في قوله:

لَتَعلَمَ مصرٌ وَمَنْ بِالعِرَاقِ وَمَنْ بِالعَواصِمِ أَنِّي الفَـــتَى

وَأَنِّي وَفَيتُ وَأَنِّي أَتَيـــتُ وَأَنِّي عَتَوتُ عَلَى مَنْ غَنَـا[3]

المتنبي تفرد في رسم سيرته على ذاته وتمركز على الافتخار والاعتزاز بذاته وكل هذا تأكيد على مدى حب الشاعر لها، فنجده يحمل سيرة ذات الشاعر النرجسية وقد مزج في ذلك بين تجسيد الواقع والتخييل ليحمل حياته في مفردات ويجسد بها سيرته وقد أكد هذا ابن سينا في قوله أنّ:«الأديب

1–شرح ديوان المتنبي، ص 22.

2–حنّا الفاخوري، الفخر والحماسة، دار المعارف، القاهرة، ط 5، د س، ص 5 .

3–أبو الطيب المتنبي، الديوان، ص 511.

يعتمد على كل من الخيال والمحاكاة فالعلاقات التي يربطها الأديب بين الأشياء تحتاج منه إلى كيفية معينة وهذه الكيفية تحتاج إلى خيال يربط بين الصور ربطًا فنيًا»[1]، فلا وجود لنص أدبي صاف فكل إبداع هو محاكاة وتخييل وهذا ما ميز سير الشعراء في القصيدة العربية القديمة حيث جمعت بين الواقع والتخييل لأنّ الشعراء جسدوا الواقع في قالبٍ متخيلٍ، فمخيلة الشاعر وحدها من تصنع ذلك الصرح ولهذا فإن:«هناك الواقع وهناك النص الأدبي الذي يحاكي هذا الواقع ومخيلة الأديب هي التي تبسط الطبع نحو أمر تقبضه عنه»[2]، فالنص الأدبي طبيعة تخييلية يلجأ إليها الأديب لفرض ذاته وسرد سيرته الذاتية من خلاله فيحمل الواقع بصورة تخييلية حسب طبيعة حدثه.

ومن بين الشعراء، نجد ابن الرومي برسم سيرته الذاتية هو الآخر من منطلق الواقع وانعكاسه عليه، فصور أشكال الحرمان والشكوى التي أسقطتها الحياة على نفسه فنجد في ديوانه:«ذات محيطة لن تعطي لصاحبها الذي لجأ إليها معبرًا إلى الخواء والضياع فقد كمن في ذاته وانطوى في عالمها»[3]، وهكذا صوّر ابن الرومي ذاته في شعره متطرقًا إلى كتابة أحداثها وما ساقته إلى حياته، إضافة إلى أبي نواس الذي ظهرت ذاته في الكثير من النماذج، فكانت في بعضها مرتبطة بالحب الذي كان يكنه لجنان حتى وإن لم يؤثر عليه ذلك فكل ما عُرف عنه لهوه ومجونه لكن الحب الذي لم يعرف به ساهم بشكل أو بآخر في صقل سيرته الذاتية ونلمح مثال ذلك في قوله:

إِنّي صَرَفْتُ الهَوى إِلى قَمَرٍ لم تَبْتَذِلْهُ العُيُونُ بِالنَّظَرِ[4]

❖ **رثاء الذات في القصيدة العباسية:**

1-ابراهيم صدقة، النص الأدبي في التراب النقدي والبلاغي، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن،2010 م- 1432 هـ، ط1، ص 83 .

2-المصدر نفسه، ص83.

3-كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الإغتراب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2005 م، د ط، ص57.

4-اقبال بركة، الحب في صدر الإسلام، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د س، د ط، ص141 .

عدّ خطاب الأنا في غرض الرثاء جانبًا مهمًا لتأسيس الذاتية لدى الشعراء، ومن بين الشعراء أبي نواس، فإنّ:«الباحث عن الرثاء الحقيقي في شعر أبي نواس لن يجده إلا في تلك المواضع التي يرثي فيها نفسه مراقبًا موتها خطوة خطوة،كما راقب من قبل مشيبها»[1]، فقد حمل الشاعر رثاء ذاته في دوانه مرتبًا أيامها منذ بدايتِها حتى فنائِها وموتِها وهذا ما نجده في قوله:

دَبَّ فِيّ الفَنَاءِ سَفْلًا وَعُلُوًا وَأَرَانِي أَموتُ عُضُوًا فَعُضُوًا[2]

أمّا الخمرةُ فلم يُغَيْبها عنْ شعرِه، لأنّها رفيقته ومَنْ عُرِفَ بِهَا، فَرَسَمَ سيرته الذاتية باحتوائها لها فعدّها الرفيقة في الوَحشَةِ، فهو على يقين أنها:«القادرة على إشباعه وإيناسه، فهي تستطيع أن تذود عنه الفناء وأفعال القبر»[3]فمثّلها في أكثر من موضع لأنّها الوحيدة التي شغلته وأعطته القدرة على المضي في الحياة فكانت انعكاسا لذاته وفي هذا الإطار يقول:

فَيَا أَيُّهَا اللَّاحِـــي اسْقِنِي ثُمَّ اغْنِنِي فَإِنِّي إِلَى وَقْتِ المَمَـــاتِ شَقِيقَهَا

إِذَا مِتُّ فَادفني إِلَى جَنبِ كَرْمَـــةٍ تَرْوِي عِظَامِي بَعدَ مَوتِي عُرُوقَهَا[4]

أبي نواس في أبياته هاته عكس واقعه وحياته المضطَّربة في أشعاره راصدًا أحداثها في صورة السيرة الذاتية، وقد ربط هو الآخر بين الواقع والتخييل بخلق تعابيرٍ غير حقيقيةٍ وإسقاطها على الواقع للتعبير عنه .

إضافة إلى هؤلاء، نجد أبي تمام الذي جسد خطاب الأنا من خلال إظهارها بصيغة الفخر بالنَّسّب في قوله:

1–كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم دراسة تحليلية لظاهرة الاغتراب، ص 54.

2– أبي نواس، الديوان، ص 402.

3–كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، دراسة لظاهرة الاغتراب، ص 55.

4–أبو نواس، الديوان، شرحه محمود افندي واصف، المطبعة العمومية، مصر، ط1 1898، ص 309.

أَنَا اِبن الذّينَ اِسترْضَعَ الجُودَ فِيهِم وَيَنْتَمِي فِيهم وهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعٌ[1]

فكان الفخر بالنَّسَب أداة الشّاعر لرصد سيرته عبر كلّ العصور، وهي الميزة التي عرفت بها القصيدة العربية القديمة منذ بداياتها، وعليه نجد أن الفخر قد حاز على مساحة شاسعة فيها؛ إذْ أنّ معظم القصائد جعلت الفخر:«الغرض الذي يتغنى فيه الشاعر بذاته[...] ويمجد مزاياها وخصالها وينسبها إلى القيم والمثل العليا»[2]، وبهذا كان الفخر الذاتي يُظهر الأنا ويخاطبها مبرزًا الصفة الفريدة فيها فشكلت بذلك نوعًا من خطابات الأنا في القصيدة العربية القديمة في ثوب السيرة الذاتية لشعراء العصور الأدبية .

1–نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الجلي، تراث مصر الإسلامية –جوهر الكنز– تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة–ج2 –الشعر وصناعته– تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية،دس، د ط، ص210.

2–سعد الدين أحمد، النصوص الأدبية في اللغة العربية، دار الراية للنشر والتوزيع–عمان،د ط ،2014 م، ص 126 .

خاتمة:

بعد هذه الرحلة التي كان موضوعها السير الذاتي في القصيدة العربية القديمة، تعرّفنا مفهوم السيرة الذاتية في الأدب العربي وخيوطه السحرية وتداخلاتها بالأجناس الأدبية الأخرى، وفي ختام هذه الدراسة نستخلص نتاج من كلّ فصل من فصول البحث، حيث يمكن إجمالها في الآتي:

- ❖ السيرة في تعريفها العام؛ بحث يستعرض فيه الكاتب حياته مبرزًا المنجزات التي حققها في مسيرته أو حياة المتحدَّث عنه.
- ❖ السيرة الذاتية تجربة إبداعية فريدة، ذلك أنّ المبدع في حالة تعرّي أمام نفسه وأمام الآخرين ليقول ما كان يخفيه في دواخله.
- ❖ السيرة الذاتية شكل من أشكال النصوص السردية المتميزة التي أصبحت الآن تحتل مرتبة مهمّة بين الآداب.
- ❖ تتميّز السيرة الذاتية عن غيرها من الأجناس الأدبية السردية في شرطٍ أساس ألا وهو الميثاق السير ذاتي.
- ❖ السيرة الذاتية بنية مغلقة ومنتهية، لأنها تنتهي مع حياة كاتبها، ولا تمتد في المستقبل.
- ❖ تتخذ السيرة الذاتية من حياة الأنا مادة خام لمضمونها والَّذي يميزها عن غيرها ويجعلها جنساً خلافيا وإشكالياً بطبعه.
- ❖ السيرة الذاتية بوصفها جنسًا أدبيًا لها جذورٌ في الأعمال الأدبية الشعرية والنثرية ببعديها الخيالي والواقعي.
- ❖ برزت نبرة التعالي والتسامي والثقة بالنفس من خلال أغراضه الشعرية كالفخر وغيرها حيث كان عنترة والمتنبي دليلاً عليها.
- ❖ "أنا" الشاعر الصارخة في جميع أغراضه أعطت بصمة جمالية تركت في العديد من النماذج على غرار المتنبي الَّذي جسد الذاتية بصورة الأنا الصارمة والطامحة إلى تحقيق السلطة.

مقدمة

مـــدخـــل

كتابة الأنا مصطلحات ومفاهيم

الفَصْل الأوَّل

السيرة في الأثر الأدبي شعراً ونثراً

- السيرة الذاتية النشأة والتطور
- السيرة في النثر الأدبي
- السيرة في الشعر"

الفَصل الثاني

تجليات خطاب الأنا في نماذج شعرية عربية قديمة

خـــاتـمـة

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

مقدمة: .....أ–ب–ت
مدخل: كتابات الأنا مصطلحات ومفاهيم.....05.
–الأنا في الأدب العربي.....06.
–تعريف السيرة الذاتية.....08.
–أنواع السيرة الذاتية.....09.
–أشكال السيرة الذاتية.....11.
الفصل الأول: السيرة الذاتية في الأثر الأدبي شعرا ونثرا.....15.
–فنّ السيرة الذاتية النشأة والتطور.....16.
–السيرة الذاتية في النثر.....22.
–السيرة الذاتية في الشعر.....34.
الفصل الثاني: تجليات خطاب الأنا في نماذج شعرية عربية قديمة.....39.
–السيرة الذاتية في القصيدة العربية الجاهلية.....41.
– السيرة الذاتية في مضامين القصيدة العربية في صدر الاسلام..57.
– السيرة الذاتية في القصيدة العربية في العصر الأموي.....60.
– السيرة الذاتية في القصيدة العربية في العصر العباسي.....63.
خـاتمة: .....71.
قائمة المصادر والمراجع: .....74.
الفهرس: .....76.